

الإسلام

خواطر و سوانح

تأليف

الكونت هنري دي كاستري

ترجمته من اللغة الفرنسية

أحمد بن زغلول باشا

وكيل نظارة المعارف

مطبعة المطبع

خليق صادق

صاحب مجلة أسئلة الشعب

مطبعة الشعب شارع دار الحكاميين ١٩١١ م ١٣٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه

ومن والاه

أما بعد فاني عثرت على كتاب فرنساوى ألفه حضرة الكونت هنرى دى كستري فى الدين الاسلامى ١٨٩٦ ميلادية ولما فرغت من قراءته وجدتنى منساقا الى ترجمته فلم يدركنى ملل ولا نصب حتى أتيت على آخر الكتاب وعدت فراجعت الترجمة فاذا هى تكاد أن تكون حرفا بحرف ثم توجهت الفكرة الى طبع هذه الترجمة ونشرها على الناطقين بالعربية فاعترضنى بعض الاصدقاء بعد أن أريته شذرات من الترجمة وكان من رأيه عدم النشر بالطبع واحتج بان الكتاب وان كان غاية فى التدقيق قاصداً لنهاية التحقيق غير انه اضطر الى ذكر ما كان يعتقد أنه مسيحيوالمصور الخالية فى الدين الاسلامى من الشناعات والسباب وذكر مثل هذه الاشياء وان كان على سبيل الرد عليه ربما اشتهرت له النفوس ووقع من المظلمين عليه موقع الاعتراض وعدم القبول. فهو لا يروق من هذه الجهة جماعة المسلمين وانى لم يكن ليخطر ببالى مثل هذا الخاطر ولم يدركنى خلدى ان يعترض واحد على ذكر هذه الاشياء فى الكتاب وهى لم تذكر من المؤلف وهو مسيحي على انها حقائق بل اوردها على انها اوهام علقمت باذهان المسيحيين من تلك الاعصر وترتب عليها ارتسام المسلمين فى مخيلاتهم بالصور الشنعاء واراد المؤلف

ب

محوهاته الصور من مخيلات الاجيال الحاضرة فبرهن واقنع واستدل بالحجة القاطعة على ان تلك موهومات لا نصيب لها من الحقيقة وذكر اسباب ايجادها في النفوس ورغب الى قومه ان يستبدلوا تلك الصورة المشوهة بصورة الاسلام الحقيقي وما يدعو اليه من خير واصلاح . فلذلك لم اعول على رأى ذلك الصديق فى التأخر عن الطبع الا انه اوجب عندى استشارة غيرى وغيره فرأيت امام الصديق المعارض اصداقاه موافقين وغيرهم مستحسنين وغيرهم أمرين وبالطبع غلب رأى الاكثرين رأى الواحد خصوصاً وانه لم يستند الا على شىء قال ربما يحصل ونحن نقول ربما لا يحصل وان حصل فهو من عدد قليل وانه لو لم يذكر المؤلف ما ذكره من تلك الموهومات ونبه على فساده وبرهن على خلافه لبقى مركزاً فى اذهان قومه وبقينا ونبينا عندهم على ما توهمه السابقون منهم اما وقد فعل فلاشبهة فى انه خدم ما استطاع ووجب علينا شكره ما استطعنا ومن تمام شكره اعلام قومنا بكتابه ولكننا لم نرد ان نأخذه بدون اذنه واستمعناه الاذنيه فتفضل بالاجابة وكان له بذلك كمال الشكر والامتنان

على ان امكان اشمزاز البعض مما جاء فى هذا الكتاب من الاقوال التى ردها المؤلف ودل على خطاها بالبرهان لا يقابل الفائدة التى نراها من نشره والذى يقصد الفائدة ويتحرى ما أخذها لا ينبغى له ان يلتفت الى ما عساه يكون من نفور بعض القراء فانهم لو انصفوا لما نفروا هذا وان قومي لعلى علم تام من ان مقصد مثلى حسن وغرضى انما هو التنبيه على انه قد وجد من غيرنا من قام للدفاع عنا بذكر الحقائق وسرد

ج

الوقائع التاريخية الصادقة فسفه رأى قومه فينا و ابان لهم وجهى الخطاء والصواب
ومن الواجب علينا ان نعرف ما قيل عنا وما دفع به الدافعون وليتهم كانوا
منا وان نتعرف صاحبي الرايين فنعرف المخطئ ولا ندع له بابا آخر للطعن
علينا ونعرف لدى الصنيمه صنمه الجميل فنزيده اعتقاداً باستحقاقنا لما صنع .
وفينا كتاب الله اعظم مرشد لهذا السبيل فقد حكى بعض المذاهب بنصها
وفصها ورد عليها بغاية الايضاح والتبيين وعندنا كتب سادتنا الاولين في
علوم الاصول والكلام وكلها تحكى المذاهب الباطلة مفصلة وترد عليها .
ومن علمائنا السابقين من يوجب حكاية المذهب الفاسد ليتمكن المطلع من
الرد عليه بالدليل فاذا كان هذا هو الحال في المذاهب التي قررها اصحابها
ويخشى حقيقة من انتشارها لانها مبرهنة بنوع من البرهان وان كان
فاسد المقدمات فما الظن بما حكاه الغير عنا على غير وجهه اما غلطاً أو قصداً
لفرض مخصوص . أظن انه لا يختلف اثنان في انه من أزم الواجبات
حكاية ما حكوه واشهار ما قالوه واذا كان الغرض في القسم الاول هو الرد
عليه فليكن الغرض من هذا القسم معرفة ما رمينا به وهذا بلا ريب ينتج
الرسوخ في العقيدة عندنا وينتج أيضاً اقتناع الواهمين بضد ما توهموه
وهذه النتيجة تقصد لكبار العقلاء ويحبها أفاضل العلماء

وفوق هذا فانا بذكرنا ما قالوه قدما علينا أو طعناً في ديننا أو صاحبه
عليه الصلاة والسلام نرجع الى أنفسنا ونبحث عما اذا كان لافواهم من أعمالنا
منتزع ام لا فان كان لهم منها منتزع علمنا كما هو الصواب انه ليس من أصل
الدين فلا نلبث ان نتباعد عنه ونرجع لأصل الدين القويم ولا نعيد عن

العمل به في أي حال من الأحوال وان لم يكن لهم من أعمالنا منزع ادركنا ان لهم غرضاً مخصوصاً وعملاً على مايزيل هذا الوهم من أنفسهم أو يدفع بهم الى تغيير غرضهم فينا وهم لاشك مجتنبوه اذا رأوا منا ذلك المنهج المعتدل والسير على الصراط المستقيم فان مقاومة الوهم بمثله لا تفيد

ثم انه لا ينكر ان في همتنا قصوراً عن البحث فيما يعتقدونه الناس فينا فاذا فيض الله لنا من بحث بدالنا ورد الشبه عنا فما اجدنا بقبول عمله واظهار الرضا به وما أولانا بنشر تحقيقاته بيننا حتى نعلم فائدتها جميعنا وربما جرتنا هذا الى الاشتغال بانفسنا فان ماحك جسمك مثل ظفرك ولا أحسن من ان يتولى الانسان مصالحه بيده مع حفظه حق مرشديه وعدم انكار صنيمهم الجميل

ولقد رأيت للمؤلف من التثبت في النقل والاعتدال في الحكم واستعمال الذوق في الرد واعمال العقل في النقد وطريقه والاستشهاد بالوقائع التاريخية مافاق به سواء من مؤلفي زمانه فبان لي انه غرضه الحقيقة أياً كانت ولا أوأخذه في بعض مواضع كتابه مما لم يطابق نقله الاحكام الشرعية اذ ربما اعتمد فيه على قول بعض النقلة وربما كان نقله صحيحاً على بعض المذاهب التي لم أقف أنا عليها ولذا لم ألاحظ عليه في الهامش ملاحظات مستقلة وفضلاً عن هذا فاني رأيت ان تكون الترجمة نقلاً الاصل برمته ليملم ماذا قصد وماذا كتب ويكفيها منه انه طالب للحق وان جاء في بعض آرائه ما عساه يحمل على الخطأ مثل الذي له في التأويل والحكاية عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم واعماله واعتقاداته. على انه لا يفوت لراء الترجمة ان الكتاب كتب

لينشريين قوم المؤلف وكان لا بد له من ملاحظة افكار المكتوب اليهم
وأحوالهم وربما اضطر في ذلك الى ابراز بعض الحقائق الثابتة عنده في صورة
الاحتمال والامكان كما يشير اليه كتابه الى ايدانا بنشر ترجمته كذلك لم أشأ ان
أكون معه من المجادلين لثلا تضييع الحقيقة او ينجر الامر الى الانكار على
صاحب مقصد حميد

هذا وانى تارك هنا ما نحن عليه من وقوف حركة النظر ومن تعطيل
قوة البحث في العلوم ومن ترك مادعينا للعمل به من قواعد الدين ومن
الابتداع فيه وعدم العمل بزواجره واجتناب نواهييه ومن اغفال ما حثنا
عليه من العلوم النافعة والتربية الناجمة فان ذلك وان كان له مساس بما نحن
بصدده الا انه يقتضى الشرح الطويل مما لا يحتمله هذا المقام ولكننا نقول
قولة مجملة بان الاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرضى منا
بالغفلة عن المنافع والمصالح ويطلبنا بدفع المفسدة ويحثنا على مكارم الاخلاق
ويبين لنا ان كل بدعة ضلالة وان كل ضلالة في النار وان طاب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة وان العلم يطلب ولو في الصين وان لا شيء من العلم
بضار ولا شيء من الجهل بمفيد وان من احدث في الدين ما ليس منه فهو
رد عليه . هذه هي تعاليم الاسلام الا ان العصر الحاضرة قد خرجت
بالدين الى ما ليس منه فمطلت شعائره الحقيقية ودخلت فيه البدع وتغلبت
المعتقدات الفاسدة على القواعد الصحيحة وتمسك الناس بالبدع وتركوا
الفروض والواجبات وكاد القرآن يتلى مع الآلات المطربة والصلاة تؤدي
في الحانات واندثر العلم وانحلت العزائم وقعدنا عن تحصيل القليل من

ضرورياتنا وتأخرت التربية ففسدت الاخلاق وتناكرت النفوس فاختلفت
 المساعي وتماكست المقاصد فنفرت المنافع وانحل عقد نظام المسلمين
 فاصبحوا اشتاتاً يمتقهم الناس ويرمونهم بالامحطاط ويميروهم بما تنزه عنه
 شرعهم واكنهم ألقوه وبالغوا في التمسك به حتى تبدلت الاحوال وصار
 كما قال صاحب المنار (الجبر توحيداً وانكار الاسباب ايماناً وترك الاعمال
 المفيدة توكلًا ومعرفة الحقائق كفرًا والحادًا وانذارًا المخالف في المذهب ديننا
 والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحًا واختبال العقل وسفاهة الرأي
 ولاية وعرفانًا والذلة والمهانة تواضعًا والخضوع للذل والاستبسال للضيم رضى
 وتسليماً والتقليد الاعمى لكل متقدم علماً واثقانا)

نعم كان هذا كله واكثر منه مما نمسك القلم عنه وانما سقنا ما ذكرنا
 معذرة لمن يفهم من الاجاب ان سوء حالنا آت من جهة ديننا وان
 رضوخنا للجهالة احدى دعائمه كما يتبين من عرض افكارهم في هذا الكتاب
 والدين برأ منه . وكيف نطلب منهم حسن الاعتقاد في الاسلام وهم يرون
 المسلمين يأتون من الاعمال مالا ينطبق على عقل ولم يقل به شرع اللهم الا
 اذا كان كما فهموه منا . انهم في الحقيقة معذورون اذا نسبوا اعمالنا هذه
 الى الدين فانهم لا يفرقون بين ما هو منه وما هو بعيد عنه وليس لهم الا ان
 يعتقدوا بان عملنا ما مور به لامنهى عنه

الى هنا نمسك القلم ونترك القول للمؤلف سالمين القارىء ان يستصحب
 معه في قراءة هذه الترجمة ما قدمناه من الملاحظات وبالله الاستعانة وعليه
 الاتكال في صلاح الاعمال

مقدمة المؤلف

كنت ذات يوم أجوب جوف الصحارى في ولاية حوران بين زرقوم
وسجبر وخلفي ثلاثون فارساً كريماً من أولاد يعقوب يمشون جماعات
جماعات لان حدة الخيل كانت تمنع من انتظامها وتجعل بعضها اذا مسه
التالى يصل صهيل الغيظ. ثم يلفت وجهه الى الورا، ويضرب بارجله في الهواء،
وعما قليل تسكن ثورته وتعود الجياد الى خطاها مطمئنة يسير أمام الكل
حاد على فرس عظيمة بيضاء لا يهدأ لها ساكن الجياد وهو يترنم بما ينعش
الجمع من كلام أغلبه مديح في كتاب هذه السطور فكنت فيهم كسلطان
يتسابق كل واحد من حاشيته الى ارضائه باستعمال ما حفظه الشرق من
اسرار الأنحطاط النفسى في مثل تلك المعاملات و كنت اصغى الى اشعارهم
ساعات متتابعة بغير ملل وقد وعيت البعض منها وكأها أراجيز محبوبه
الاطراف غير تامة المعنى بذاتها فلا تميز بين المادح والممدوح والمخاطب
والتكلم بحيث يصعب علينا معشر الفرييين ادراك مرامها
و كنت ابلغ الخامسة والعشرين من العمر والفصل فصل الشتاء وبومنا
يوم جميل تنشط الابدان حرارته ويبلغ ضوءه حد البهاء وروائحهم تنعش
السالكين وتجعل المستنشق شاعراً بتام الحياة يخالجنى مع ذلك احساس
آخر هو شففى بتلك الممدوحة التى كان اسمها يروح وينغدو فى أقوال

أولئك الشجعان . وبينما نحن سائرون على هذه الحالة اذ سكت الشاعر والتفت قائلاً بصوت خشن سيدي الآن وقت العصر . هنالك ترجلت الفرسان واصطفوا لصلاة العصر مع الجماعة وصلاة الجماعة مفضلة عند الله في اعتقاد المسلمين كما هي كذلك عند المسيحيين أما انا فقد ابتعدت عنهم وكنت أود أن لو انشقت الارض فابتلعتني وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثني وتنفرج بحركات المصلين واسمعهم يكررون بصوت مرتفع الله اكبر الله اكبر فكان هذا الاسم الالهى يأخذ من ذهني مأخذاً لم يوجد فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظاً يبر عنه سببه الحيا والانفعال أحس بان أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامي قبل هذه اللحظة يشعرون في صلاتهم بأنهم أرفع مني مقاماً وأعز نفساً ولو اني اطعت نفسي لصحت فيهم (انا أيضاً اعتقد بالله وأعرف الصلاة وكيف أعبد) فما اجمل منظر أولئك القوم في نظامهم لصلاتهم بلابسهم وحيادهم بجانبهم ارسائها على الارض وهي هادئة كأنها خاشعة للصلاة . تلك هي الخليل التي كان يحبها النبي (صلى الله عليه وسلم) حباً ذهب به الى انه كان يمسح خياشيمها بطرف أزاره عملاً بوصية جبريل عليه السلام وكنت ارى نفسي وحيداً في عرض هذه الصحراء على ما انا به من اللباس العسكري الضيق الذي يرم فيه الجسم الانساني بغير احتشام تلوح علي سمات عدم الايمان في مكان هو مسقط رأس الديانات كأنتي من الحجر أو من الكلاب امام أولئك القوم الذين يكررون الى ربهم صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صدقا وإيماناً . وبينما انا كذلك اذ جال بخاطرى ماورد في التوراة من أن الله

يسكن خيمة سام ويكثر من اولاد يافث . وقد كان الفريقان مجتمعين في ذلك المكان أولئك المصلون الذين هم من ولد سام معجبون بدينهم وعبادة ربهم ورب آبائهم الله الذي دخل خيمة ابراهيم وأنا ابن يافث الذي يمتد ذكره بالحرب والفتوح ولما انتهى بنا الطريق ورجعت الى مكان راحتي جعلت اكتب ما علق بذهني من الافكار فاحسست اني منجذب بحلاوة الاسلام كأنها اول مرة شاهدت في الصحراء قوما يعبدون خالق الاكوان وذكرت خيام النصارى حيث لا تعبد فيها غير النساء وأخذني الغضب من كفر ابناء المغرب وقلّة ايمانهم

كنت في سن يستسهل العقل فيه حل المشكلات وبأخذ الاشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيه محل النقد والتنقيب ويمتقد المرء في الامور بغير قيد وهو سن لو انصف اهلوه لما كتبوا وألفوا وكنتم ارى ان جمال الدين اصدق شاهد على انه الدين الحق وصرت أكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع الفؤاد .

ولو أنى اتبعت مجرد الظواهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموماً ورماني المستشرقون بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاوروبائين . ذلك ان المشتغلين بالاسلام في هذه الايام فريقان المستشرقون الذين هم من افاضل العلماء ومستعربو الجزائر من الافرنج ايضا ومما لاشبهه فيه ان القسم الاول قد افاد العلم اكثر من القسم الثاني فان أعمالهم انتجت كثيراً من العناصر والمواد التي يسهل بها اليوم وضع تاريخ الاسلام لان ذلك التاريخ لا يزال مع ما تقدم في عالم

الغيب وبعدهم يأتي مستعربو الجزائر على نسبة الفرق بين غزارة المادة في العلم وسلامة النظر في الموجودات وهم يعيشون مع المسلمين ويفقهون غور افكارهم ويعلمون حقيقة معيشتهم وكنه ديانتهم معرفة لا تحصل لاحد في غير تلك البلاد وبهذا يرون ان لهم الحق في ان يكتبوا عن الاسلام كالمستشرقين نعم انهم لم يقفوا على جميع ما ألفه المسلمون في الحكمة وعلم الكلام ولكني لأرى ذلك تقصاً كبيراً اذ معرفة حقيقة الاسلام في هذا العصر لا تحتاج الى سعة اطلاع ديني على ان مطالعة جميع الكتب التي وضعت في مبدأ ظهور هذا الدين انما تجب على المؤرخ أكثر من غيره لان علم الكلام وحب الخوض فيه قد اندثر منذ القرن الثاني عشر حيث أصبح الدين الاسلامي قوياً متيناً لا تؤثر فيه مناقشة الباحثين وتخاصم المنتقدين كما اودت باصول الديانات الاخرى فن ذلك الحين صار كل مسلم من عالم وجاهل ومن أمير وحقير مؤمناً ايماناً لا احتياج لتحكيم العقل في تحصيله بل هو ايمان وجداني بسيط قوى في النفس متمكن من القلوب وذلك لا يشاهد في الامم المسيحية الا عند الفجائيين

ومما اوجب الباحثون معرفته على كل مشتغل بالاسلام علم الاسماء المقدسة وهو علم دقيق لا يعرفه المستعربون كثيراً ولم يأت بالفائدة التي كانوا يقصدونها منه ومع ذلك فان العجب يأخذ منهم كل ما أخذ اذا قرأوا ترجمة بسم الله الرحمن الرحيم التي تسبق كل سورة من سور القرآن اذ يظهر من تلك الترجمة ان واضعها اراد الوصول الى اصل معنى اللفظ في الوضع ونسى ان ذلك البحث ربما جر الى فقد المعنى الذي يحضر في الذهن

لسماعه ومن الواضح ان سعة العلم وغزارة المادة اذا بنيت على الفرض والتخمين لا يحتج بها امام ما اتفق الشعور العام عليه قال المستشرقون ان رحمن اسم وضعته الديانة الوثنية المسيحية لاله الشفقة وهو جائز غير ان هذا اللفظ لا يدل عند المسلمين من يوم دخوله في لغة الاسلام الا على صفة من صفات الله الذي يعبدونه ولم يوجد واحد من بينهم ذهب الا انه اسم من اسماء الالهية المعروفة قبل الاسلام فليست ارى حينئذ ان المستشرقين مع احترامي لما يقولون قد اكتشفوا على امر يقدر في صدق القرآن وانه يلزم لذلك نزع معنى الرفق والحنان من لفظة الرحمن لانه معنى يطابق فكر جميع المسلمين في كل زمان ومكان

ولقد رأيت من الواجب أن أبين الصفات التي تخواني حق الكتابة عن الاسلام قبل ان اشر كتابي هذا. أنا عاشرت العرب أزماناً طويلاً واشتغلت كثيراً بمعرفة حقيقة طباع الشرقيين ومذهبي مذهب مستعربي الجزائر ولذلك أسأل المستشرقين ذوي الاعتبار عفواً وليناً واطلب منهم قبل كل شيء أن لا يجمعوا بيني وبين اولئك الذين يعملون الى العرب فيكتبون عن الاسلام مائلقوه اثناء سياحة قصيرة فجاء قولهم قولاً شعرياً حتى ان موسيو (لوازون) لم ينج من هذه السقطة بل طاش قلمه وجذبتة التخيلات فكان ممن يرى كل شيء في الشرق جميلاً وجاء رأيه في الاسلام رأى قوال لا رأى باحث حكيم وعليه فليست أقصد بكتابي هذا أن امجد الاسلام ولكني لما رأيت انه صار من المسائل الكبرى التي اشتغلت بها أذهان الباحثين في العصر الحاضر وأسست من أجله مجلة علمية في باريس

نال بها المسلمون نجاحاً أدى الى ان المسيحيين ومنهم اولاد الصليبيين يساعدونهم بالمال على اقامة مسجد يعبدون الله فيه انتهزت فرصة هذا الميل وأردت التنبيه الى بعض اغلاط علفت بالافكار عندنا من حيث النبي العربي ودينه الاسلامي وهو عمل شاق ووقوف حرج اذ من المعلوم كما قيل انه لا يرسخ في الاعتقاد اكثر من خطأ الاعتقاد كذلك ارى انه لا يكفي لامة مسيحية متمدنة ان تحترم دين المسلمين من رعاياها بل يجب عليها ان تسعى الى معرفة ذلك الدين كما ينبغي فنحن نضحك اشفاقاً من سماع الاقاصيص التي تقرأها عن بغض المسلمين للمسيحيين وتقول اولئك قوم جهلة متعصبون وانهم في بغضهم لنا مخطئون الا ان المسيحيين هم كذلك في بغضهم للمسلمين لا يمدلون واشد الا وهام رسوخا عندنا بالنظر الى الديانة الاسلامية ما اختص منها بشخص النبي ولذلك قصدت ان يكون بحثي اولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الادبية على اجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وامانته المتفق تقريباً عليها بين جميع مؤرخي الديانات واكبر المتشيعين للدين المسيحي

الفصل الأول

﴿ صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴾

محمد والاعاني المعروفة باغاني الاشارات - محمد والتاريخ - اصل
الاعتقاد - الوحي بالقرآن - ليس محمد مبتدعا - هل
كان على الدوام صديقا - وفاته

كنت كلما بحثت في الديانات مع صاحب لي من طلبة العلم في تلمسان
وأراد الهرب من الجدل يجيبني هم يقولون ان لله ولداً وان محمداً لمن
الساحرين اجابة مملوءة بالاحتقار كما يجب المعتقد وثنياً يريد ان يشفق عليه
وذلك مع مبالغته في احترامى وحسن الصلات بيننا وكان يرى ان التثايت
خرافة فادحة كسحر محمد وان المسيحيين الذين اخترعوا البدعتين قوم
لا ينبغي الجدل معهم ولست أدري ما الذي يقوله المسلمون لو علموا اقصيص
القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتى في أغاني القوال من المسيحيين فجميع
أغانينا حتى التي ظهرت قبل القرن الثانى عشر صادرة عن فكر واحد كان
السبب في الحروب الصليبية وكلها محشوة بالحقده على المسلمين للجهل الكلى
بديانتهم وقد نتج عن تلك الاناشيد تثبت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك
الدين ورسوخ تلك الاغلاط في الاذهان ولا يزال بعضها راسخاً الى هذه الايام
فكل ناشد كان يعد المسلمين مشركين غير مؤمنين وعبدة اوثان مارقين وقد

جعلوا لهم ثلاثة آلهة هم على ترتيب درجاتهم ما هووم ويقال ما هووم
 وبافوميدي وما هووميدي وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم (أبلين) ثم
 (ترفاجان) وذهبوا الى ان محمداً وضع دينه بادعائه الالهوية ومن المستغربات
 قولهم ان محمداً الذي هو عدو الاصنام ومبيد الاوثان كان يدعو الناس لعبادته
 في صورة وثن من ذهب كما كان يعتقد (الكرلوقنجيون) وان المسلمين
 لما غلبهم الافرنج وصدروهم الى اسوار سرقسطه عادوا الى اصنامهم فخطموها
 كما طنطن به احد منشدى ذلك العصر حيث قال (وكان ابلين الههم في
 مغارة هناك فتراوا عليه واوسعوه شتما وسبا وصابوه من يديه في احد
 العمدان وجعلوا يدوسونه باقدامهم ويوجعونه ضربا بالعصى حتى هشموه
 واما (ما هووم) فقد رموه في حفرة وتركوا الكلاب والخنازير تنهشه
 وتمشى عليه وتلك اهانة لم تصب الها قبله) ويظهر ان المسلمين لم يلبثوا ان
 تابوا من ذنبهم واستغفروا آلهتهم وأصلحوا ما أتلفوه منها ولذلك أمر
 الامبراطور كارلوس بابطالها لما دخل سرقسطه كما جاء في قول ذلك الشاعر
 (وقد أمر الامبراطور الفرنساويين فطافوا جميع انحاء المدينة ودخلوا المساجد
 والجوامع وبأيديهم مطارق من حديد فكسروا بها ما هووميدي وجميع الاوثان
 والاصنام) وكذلك يقول (ريشار) في أناشيده وهي جميلة لاشيء من
 الخراف فيها الا انها زور وبهتان حيث يطالب من الله أن يوقع الفشل العميم
 بين (أولئك الذين يعبدون بصورة ما هووم) ثم جعل يحرص الاشراف
 على الحرب المقدسة وينصحهم أن ينكسوا أصنام المسلمين) قوموا ونكسوا
 صنم ما هووميدي وترفاجان وصبوهم على النار وقدموهم الى ربكم) وذهبوا الى

ان صورة ماهوم كانت تصنع من أنفاس الاحجار والمعادن باحكم صنع
وأدق اتقان ومن قرأ وصفه في اناشيد (رولان) كاد يحلف ان ذلك
الشاعر انما يصف عن خبر وعيان يقول وكانت كلها من الذهب والفضة
لو شاهدتها لأيقنت بأنه لا يمكن للعقل ان يتصور اجل منها عظيمة الشكل
لطيفة الصنع تلوح على وجهها سمات الشهامة . كان (ماهوم) من ذهب
وفضة يأخذ بريقها بالابصار قد وضع فوق فيل على جلسة من أجمل
المصنوعات خاوياً من جوفه فيرى الضوء من خلاله مرصعاً بنفائس
الاحجار المضيئة يرى الناظر باطنه من الظاهر وهو صنع عز عن
المثال والنظير) ولما كانت الآلهة تنزل الوحي وقت الشدائد وانهمزم المسلمون
في احدى غزواتهم بعث قائدهم الى مكة يطلب ربه قال الراوى
بجاء الاله محمد في موكب عظيم يضرب بالطبل والمزامير ضرباً
يسمع له دوى قاصف وبعضهم يفتى بالمزمار والآخر بصفارة من
الفضة والكل حولهم يرقصون ويفنون بأعلى أصواتهم واقبلوا به فرحين
حيث المجلس معقود والخليفة الدينى فى انتظاره فلما رآه قام يعبده
بخضوع وخشوع ثم أخذ (ريشار) بعد ذلك يقص كيفية مناجاة
أولئك الوثنيين لذلك الصنم الذى وصفه بالتجوير وان لاشئ فى باطنه
الا ويرى من الخارج فقال (وقد وضعوا فى جوفه عفريناً استحضره
السحرة وصار ينط ويعربد ثم أخذ يكلم للمسلمين وهم يسمعون) ولقد
زاد بفضهم لذلك الصنم حتى جعلوه علامة على الدين الاسلامى كما جعلوا
الصليب علامة للدين المسيحى فروى (بودوان) فى نشيده على الكونتيسة

(يونتيو) لما أرادت ان تعتنق لاسلام امام صلاح الدين انها قالت (اريد أن أعبد محمداً فانتوني به فلما صار بين يديها خرت ساجدة اليه) ويأخذ القارى، من نشيد آخر يظهر انه وضع تنمة لاناشيد (بودوان) وجود الهين للمسلمين غير الذين سبق ذكرهم وهما (بارتون) و (جوبين) الا ان الثلاثة الاولين هم الرؤساء ولما رد أحد قواد المسيحيين جيش المسلمين الذى خرج من مكة أخذ الشاعر يصف اضطراب المسلمين كما يأتى (وقد جعل الوثنيون يصيحون ويصرخون ويموجون بينهم ويهرجون وينادون باعلى اصواتهم يا (ترفاجان) يا (ماهوم) ومع ذلك يوجد نشيد من اناشيد القرون الوسطى لا يرى فيه القارى، رمزاً الى محمد بالصنم وهو للقسيس (اسكندرديون) الفه سنة ١٢٥٨ ميلادية اخذاً عن مسلم تنصر من ذوى الاعتبار وعد الناس تلك القصة تاريخياً صحيحاً عن ذلك النبي وقد جاء فيها (انه من المعلوم ان محمداً كان عالماً بطرق المكر والحياثة والخداع) ثم شبهه باحد الامراء المحاط باتباعه ينشر دينه على ابسط حال حتى اعتقده الناس أكثر مما اعتقدوا حبر رومة

ولقد أطلنا القول فى تلك الاضاليل لان تاريخ (اسكندر) المذكور لم يزلها ولاها تركت أثراً فى الاذهان وصل الى اهل هذه الايام وتشبعت به افكارهم فى النبي وكتابه

ولو سأل سائل هل كان اولئك المنشدون يمتقدون صحة مايقولون لاجنباه جواب اهل نورمنده لا ونعم اذ من المحقق ان الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدى على حقيقته

ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في اناشيدهم بل حفظ روح
البغضاء في نفوس قومهم فاحتاجوا في ذلك الى وصف المسامين ونبههم
ودينهم بالاوصاف التي تؤثر في نفوس المنشود لهم على حسب معارفهم
واميالهم واذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى الى من جاء بعدهم من
المؤرخين والمتكلمين (الباحثين في علم التوحيد) الذين يظهر على كتبهم في
ذلك الزمن انهم ميالون الى الاعتدال وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك
الاقاصيص الخرافية مملوءة بالطعن والشتائم في نبي المسامين وكان المصاحون
(هم البروتستان ايام دعوتهم لاصلاح الدين المسيحي) أشد تمصباً ضده من
غيرهم فقد اعتنى (بيلياندر) بتشبيه محمد بالشیطان وعاملوا كتابه وشرعه
كعاملوه ولسنا نقيم برهاناً على ما نقول غير توجيه نظر القارىء الى
مطالعة ما جاء في مقدمة كتاب (ريلان) الذي ألفه سنة ١٧٢١ تحت
عنوان (ما هو السبب في ان الناس عامة لا يعرفون من الديانة المحمدية
الاشيئاً سيراً) حيث يقول (لو اراد الباحثون ان يصموا مذهباً او
طريقه بوصمة الخزي والعار نسبوها الى محمد فقالوا مذهب محمدى او
طريقة محمدية وهكذا) وألف القس (دون مارتينو الفرنسو فيقالدو)
كتاباً سماه سراج الكنيسة المقدسة الذهبي جاء فيه (ان كتاب محمد
لا تلزم قراءته بل يجب ان يسخر به وان يحتقر ويرمى في النار انى وجد
ولا يليق ان يحفظه الناس لانه عمل بهيمى) وبمضمون كان لا يقول بحرقه
ولكنه يرى (من العبث ان يجهد الانسان نفسه ويزيد ايلامها بحفظ
هزئيات وأورد تافهة منشأها خيالات شخص اختل عقله واضطربت قواه)

وأما المسلمون فمن أسماهم في تلك الكتب البلدة والكسالى والحير
والحير الوحشية والممقوتون الذين يملأون المنزل بالنساء في الليل ويطلقونهن
في النهار ولو اردت الاطلاع على جمعة الشتائم والسباب فعليك بكتاب الفه
احد اليسوعيين وهو (پروشار) وسماه مرشد السياحه وقدمه الى الامير
(فيليب روقالو) سنة ١٣٣٢ و ذكر فيه الاسباب التي تحملها على الدعوى
الى حرب صليبية فقال (من ذا الذي لا يزرف عبرات الدمع عند ما يعلم
أى الرجال هم قابضون اليوم على تلك البقاع التي هي ميراثنا أولئك قوم
لا رب لهم ولا دين يهديهم ولا شرع يرجعون اليه ولا عهد ولا حنان
أولئك قوم اخساء ادنياء وهم اعداء لكل حقيقة في الوجود وكل صفاء
وكل خير وكل عدل أولئك هم أعداء الصليب الكافرون بالله المضطهدون
للمسيحيين المفرطون في نسايم الفاسقون بالاطفال الظالمون لعجم
الحيوانات المخالفون لطبائع البشر القتالون للفضائل المميتون للاخلاق
الغارقون في القبائح والخطايا أولئك هم أولياء الشيطان وانصار الدنيا ذوو
حمد وبغض ذوو افكار سافلة واعمال سخيفة وعيشة دنيسة وأقوال بدئية
وعشرة سوء معدية لا تنصرف ارادتهم ولا تتجه همهم الا الى اللذائذ البهيمية
والمعيشة الهمجية أولئك هم القوم الذين ابعدوننا عن هاتيك البقاع وأذوونا
في هذه البقعة الصغيرة التي نحن فيها مستهزئين بنا وساخرين بدينا أولئك
هم الذين خربوا بيت الله وملكوا المدينة المقدسة التي هي مهبط شرعنا
ولو ثوا اماكنها المقدسة المطهرة)

ولم يزل هذا الروح سائداً عند المسيحيين حتى ان المستشرق

(بريدو) الانكليزي الف سنة ١٧٣٣ كتاباً في سيرة النبي عنوانه (حياة
 ذى البدع محمد) وترجمه بعضهم الى لغتنا وجعل له مقدمة بين
 فيها مقصد المؤلف فقال (ان غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة
 المقصد المسيحي الحكيم بذكر حياة ذلك الرجل الشرير محمد) أولئك
 كتاب ما قصدوا التاريخ ولكنهم ارادوا خدمة المقصد المسيحي
 الحكيم كما يقولون وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم
 ان يشبعوا خصمهم سباً وشتماً وان يحرفوا في النقل مهما استطاعوا
 واراد (داماسين) ان يخالفهم في التأليف لكونه تربى في دمشق الشام
 وكان مقرباً عند الخلفاء فجعل يرد مذهب الاسلام من غير تعصب لذلك
 عده بدعة في الديانة المسيحية تقرب من بدعة (اربوس) ومع ذلك فلم
 تؤثر عبارته في رأى الغربيين بل ظلوا يعتقدون الخرافات في النبي وقرآنه
 وكان رؤساؤهم الروحانيون يجتهدون دائماً في تأييدها وتمكينها من الازهان
 وهي سياسة جعلت الناس عندنا يهزأون بالدين الاسلامي واغنت الباباوات
 عن حربه حرباً صحيحاً فقد كانت الكنيسة اللاتينية في القرن الثامن
 مشتغلة بامور أخرى لان الكنيسة الشرقية كانت واقعة بين عاملين مضرين
 هما احزاب النفس الواحدة في جسدين واحزاب النفس في جسم واحد
 ولم يبدأ في البحث عن الاسلام بغير تعصب ولا تشيع إلا في زمننا
 هذا ففي القرن التاسع عشر اخذ الباحثون ينظرون الى المسئلة نظر الناقد
 البصير وكان من وراء ذلك ان افترق الناس في القرآن الى معجب به ووطاعن
 فيه ومع ذلك لا تزال ترى في لسان هذا القسم الاخير ما تشم منه رائحة

تأثرهم بالأفكار الماضية قال موسيو (دروختي) في سياحته في بلاد العرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي (انه عربي خائن ذني) وقد نسي ان هذه الالفاظ التي يشتمز منها السامع لم تعد تصلح اليوم حجة على صحة الدعوى وأول ما دار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب ومعلوم انه لا ارتباط بين هذه المسئلة وبين كون القرآن كتاباً منزلاً ولستنا نحتاج في اثبات صدق النبي الى اكثر من اثبات انه كان مقتنعاً بصحة رسالته وحقيقة نبوته اما الغرض من تلك الرسالة في الاصل فهو اقامة اله واحد مقام عبادة الاوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره وبيان ذلك ان اسماعيل لما حنقت عليه ساره وطرد من عائلة ابيه توجه الى بلاد العرب ونقل اليها ديانة ابيه ابراهيم الا انه لم يبق بين العرب من تلك الديانة سوى شيء قليل يشبه الخيال اذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بان رب ابراهيم هو رب عزيز لا يقبل له شريكاً كما حصل ذلك لبني اسرائيل ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئاً فشيئاً وتحل محله عبادة الآلهة التي كانت معروفة في أمم أخرى حتى تنوسى دين اسماعيل تماماً ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتى ان (تبث) قس بصره اعترف في القرن الرابع بان معيشة العرب الرحالة النقلة تمنع من انتشار تلك الديانة في بحيت جزيرة العرب .

تلك هي حالة الدين ببلاد العرب الى قرن السابع وقد بحث فيها الكتاب كل على حسب امياله وكما اعتقد لذلك تناقضت اقوالهم

في اعتبارها والحكم على اهلها فقال موسيو (رونان) لا يوجد في تاريخ التمدن كله صورة اجمل من حالة بلاد العرب قبل الاسلام ومن رآيه ان القبائل في تلك البقاع كانت تدين باليهودية أو بالدين المسيحي وكانت مشتغلة بحركة دينية عظيمة وقال موسيو (بارتيلي سانت هيلير) لوصح أن أولئك الاقوام كانوا على جانب عظيم من التمدن كما يدعون لما احتاجوا الى تلك التعاليم الادبية التي تقشع ابدنا لسماعها (حرمت عليكم اهلها تكلم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ومن رأى هذا المؤانف ان العرب كانت أمة متبربرة في حالة من التوحش تقرب من حالة العبرانيين ايام بعث فيهم موسى بمثل ما تقدم من التحاريم. ولست أريد الخوض في ترجيح أحد الرائيين ولكنى أرى ان التوسط في الامر اقرب الى الصواب وان امة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم وكان مذهب توحيد الاله يخطر في الاذهان رويداً رويداً وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريق يقال لهم الاحناف بقوا على مذهب ابراهيم (عليه السلام) واما المسيحيون فكانوا فرقا كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكشير (تعدد الالهة) وتلقى محمد مذهب اولئك الاحناف بحالة سطحية لكن لما كانت نفس ذلك النبي مفضورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل اليه نفس قبله الا قليلا وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي احدث انقلاباً كلياً في النوع البشرى ومن الخطأ ان نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الاحناف لان محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مراراً أنبيأً أمياً وهو وصف لم يعارضه فيه احد من

معاصريه ولا شك انه يستحيل على رجل في الشرق ان يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس لان حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على ان القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الافطار ولم يكن بمكة قارىء أو كاتب سوى رجل واحد ذكره (جارسين دى تاسى) في كتابه الذى طبعه سنة ١٨٧٤ كذلك من الخطأ مع معرفة اخلاق الشرقيين ان يستدل على معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار (السيدة) خديجة (رضى الله عنها) اياه لتاجرها في الشام ولم تكن لتمهد اليه اعمالها ان كان جاهلا غير متعلم فانا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرأون ولا يكتبون وهم في الغالب أكثرهم امانة وصدقا

ثبت اذن مما تقدم ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يقرأ كتابا مقدسا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه خلافا لما ذهب اليه (اسكندر دويون) حيث (يقول انه كان يعرف دين اليسوع قراءة وكتابه) نعم ان البحث عن معرفة المصادر التي عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح أو الديانة اليهودية أو ديانة عباد الكواكب قد يكون مفيدا لمعرفة الموافقات التي جاءت بين القرآن وبين التوراة الا انه بحث ثانوى اذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الاخرى لبقى الامر مشكلا كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الدينى وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحا وجسما ولقد نعلم انه مر بمتعاب كثيرة وقاسى آلاما نفسية كبرى قبل ان يخبر برسالته فقد خلقه الله ذات نفس تمحصت للدين ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة

الاولئان ومذهب تعدد الالهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بغضها متمكناً من قلبه وكان وجود هذين المذهبين اشبه بآبرة في جسمه (صلى الله عليه وسلم) ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى اعتكف في جبل حرى وارخى العنان لفكره يجول في بحار التأملات عابداً متهجداً ومضت عليه بهذه الحالة ليال من لياالى هاتيك البقاع التي تملأ النفس اشراحا حتى جاء عنها في لسان العامة ان الملائكة تسأل ربهـا لو أذن لهم فيهبطوا من السماء لقضاء ليلهم على الارض اعجاباً بجمال الليل فيها وشوقاً الى صفاته وجلاله

ولعمري فبم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الاربعين وهو في ريعان الذكاء ومن اولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل وقوة الادراك لا بوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان الا ان يقول مراراً ويعيد تكراراً هذه الكلمات (الله احد الله أحد) كلمات ردها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاهـا لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن (لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك ولم يكن له كفواً احد) وكانت مترادفات اللغة العربية تساعد بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامى الذى دلّ عليه ومن تلك الافكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام (لا إله الا الله)

ذلك هو اصل الاعتقاد باله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على الدوام ويمتازون به

على غيرهم من القبائل والشعوب اوائك حقاً هم المؤمنون كما يسمون انفسهم بالسنتهم . ولقد يستحيل ان يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبي (صلى الله عليه وسلم) من مطالعته التوراة والانجيل اذ لو قرأ تلك الكتب لردّها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته فظهور هذا الاعتقاد بواسطة دفعة واحدة هو اعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته

وأما مسألة الوحي بالقرآن فهي أكثر اشكالا وأكبر تعقيداً لان الباحثين لم يهتدوا الى حلها حلاً مرضياً والعقل يحار كيف يتأتى ان تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بانها آيات يعجز فكر نبي الانسان عن الاتيان بمثليها لفظاً ومعنى آيات لما سمعها عقبة ابن ربيعة حار في جمالها وكفى رفيع عبارتها لاقتناع عمر بن الخطاب فأمن برب قائليها وقاضت اعين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن ابي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى وصاح القميس ان هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى قال ناقل هذه الرواية (كوزان دي بيرسوفال) فلما كان اليوم الثاني طلب النجاشي جعفر و اشار اليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل واستغرب الملك لما سمع ان المسيح عبد الله ورسوله وروح منه نزل في أمه مريم ثم تناول قضيباً دقيقاً كان أمامه وقال لجعفر ان الفرق بين ما سمعناه منك الآن عن عيسى وبين ما نقوله ديانتنا عنه لا يزيد عن سمك هذا القضيب وقد قوى ذلك القضيب فنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية الى الآن) لكن نحن معشر الغربيين لا نسمعنا ان نفقه معاني القرآن كما

هي لمخالفته لافكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الامم عندنا غير انه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب وقد أصاب (جان جاك روسيو) حيث يقول (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو انه سمع محمداً (صلى الله عليه وسلم) يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الاذن ويؤثر في القلوب والتفت الى أنه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان وما أوتيه من بلاغة اللسان لخر ساجداً على الارض وناداه أيها النبي رسول الله خذ بيدنا الى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والاطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار قال (بولاتقيلير) انى لاعترف بانه من الصعب ان يظن الانسان ولا يتحير في أمره ان قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير خصوصاً وانها تصدر عالية بغير ضعف أبداً وتتجدد رفيمه معجزة اذ تقصر دون تمثيلها رجال الارض وملائكة السماء وقد أشار المؤلف في كتابه الى الآية الآتية

(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتربات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين - فان لم يستجيبوا اليكم فاعلموا ان ما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو)

وكيف يعقل ان النبي ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع انها في الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعتملها الا القوم العالمون ولقد أعجب من موسيو (رينارد دوزي) في كتابه تاريخ الاسلام حيث يقول في الصحيفة العشرين بعد المائة (ان في القرآن أغلاطاً نحوية كثيرة وان تلك

الاغلاط. جعلت فيما بعد من جملة قواعد النحو أو مستثنيات من قواعده (ولعمري أى مصدر اعتمد عليه ذلك المؤلف فيما ادعى مع اننا لم نعهد كتباً نحوية قبل الاسلام ولو صح وجود شىء منها فلا بد انه كان عزيزاً نادراً وقد شاهدنا ان اناساً وما كان أكثرهم أميين قاموا فى أمة العرب وادعوا النبوة منهم مسيئمة الذى زعم انه قرين محمد أتى بسور سخر العرب منها ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولى على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب . أتى محمد بالقرآن دليلاً على صدق رسالته وهو لا يزال الى يومنا هذا سرا من الاسرار التى تعذر فك طلاسمها وان يسبر غور هذا السر الممكنون الا من يصدق بانه منزل من الله اللهم الا اذا اعتمدنا على قول مجدى الديانة المسيحية مما كنا نرتاح اليه ايام شبويتنا وهو يرجع الى ان القرآن تأليف فاتح اراد تأييد سلطته بجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانونا اودعه بعض قواعد الادب والدين واطاف اليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته) وعلى كل حال أى سواء توصلنا الى معرفة حقيقة القرآن أم لا فلا ينكر أحدان مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل بقطع النظر عن صدق تلك النبوة وعدم صدقها لان النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل يعلى على الناس أمر ربه ويعتقد حقا ان ما يقوله آت من عند الله وهو تعريف اعلم ان المسيحيين لا يقبلونه سواء كانوا من المتكلمين أو الحكماء الباحثين الا اننى ما اردت به التوفيق بينهما بل قصدت به تمهيداً للايضاحات التى اريد ان اقدمها للقراء فى عرض رسالتى

وعلى ما تقدم أقول ان لظهور النبوة سببين مختلفين فاما ان تكون

صادرة عن وحى سماوى أو عن اتقاد فى الذهن واشتداد فى حركة النفس الباطنية والمتأثر بأحد هذين السببين يفعل به قهراً غير مختار فهو صادق على الحالين وتكون النبوة حقيقية أو كاذبة بحسب المؤثر فيها فإن كان الهيا فالاول والا فالثانى ولو رجعنا الى ماوضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين لامكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الاسلام وجز مناباته لم يكن من المبتدعين فمحمد كما قال (أبو الورد) عن انبياء بنى اسرائيل اعتقد ان روحا من الله استولت على لبه فلم يعد يشعر بان له فكراً خاصاً بل انه أوتيه من عند ربه واختفت فى نظره انانيته ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته ومن) الصعب ان تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل (عليه السلام) هل كان ذلك فى الحلم أو غيبوبة فى عالم التصورات الالهية على ان معرفة هذه الحقيقة لا تغير موضوع المسئلة لان الصدق حاصل فى كل حال

كذلك لو قال قائل ان القرآن ليس كلام الله بل كلام محمد (صلى الله عليه وسلم) فلا بد لنا على الحالين من الاعتراف بان تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع ابدأ خلافاً للرأى من ذهب الى تكذيب نبوته وامل رأيهم جاء من ضيق اللغة التى تلجئنا الى ان نرمى بالكذب نبياً هو فى الحقيقة شخص مليء امانة وصدقاً.

ولقد نعلم ان الصوت الذى كان يسمعه نبي المسلمين شبيه بالصوت الذى ايقظ ايوانس من قبله فقال له (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) فلما سمع ذلك تلكاً وتباطأ واستمع على هذا النداء فضعفت صحته واستولى عليه الملح كرجل يخاف ان يذهب ليه ثم انتهى

به الحال الى ان صدع بامر ربه وجعل يبشر الناس وحصل على شئ من الراحة وان لم ينلها بتمامها لانه كان كثير التألم كما يؤخذ ذلك من سورة هود والقارعة والحاقة

ومن ذلك الحين أخذت شفته تنطق بالفاظ بعضها أشد قوة وابعد مرمى من بعض الافكار تندفق من فمه على الدوام الى ان يقف لسانه ولا يطعمه الصوت ولا يجد من الالفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الانسان وسما عن ان يترجمه قلم أو لسان وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم ان به جنة وهو رأى باطل لانه بدأ رسالته بعد الاربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية وليس من الناس من عرف الناس جميع احواله فى حياته كلها مثل (النبي صلعم) فلقد وصل المحدثون عنه الى انهم كانوا يعدون الشعر الابيض فى لحيته ولو انه كان مريضاً لما أخفى مرضه لان المرض فى مثل تلك الاحوال يعتبر امراً سماوياً عند الشرقيين وليست حالة محمد (صلعم) فى انفعالاته وتأثراته بحالة ذى جنة بل كانت مثل التى قال نبي بنى اسرائيل فى وصفها (لقد شعرت بان قلبى انكسر بين اضلعي وارتعشت منى العظام وصرت كالنشوان لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله واقواله المقدسة)

اذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين كتابهم وايس هو نبي سلاب كما يقول موسيو (سايسوس) نعم قد نرى تشابه بين القرآن والتوراة فى بعض المواضع الا ان سببه ميسور المعرفة ذلك ان محمداً كان يلصق ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية فالبحت مباح فيما اذا كان مذهبه

صحيحاً أو موضوعاً اتخذته ليؤيد به الحقيقة الدينية من حيث هي ولاكن
لا نسلم انكار هذه الحقيقة وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض
المواضع خصوصاً اذا لاحظنا أن القرآن جاء ليعتمها كما ان (النبي صلى الله عليه
وسلم) خاتم الانبياء والمرسلين

والآن نلخص لك مذهب نبي المسلمين في الديانات الثلاث فنقول ان
دين الانبياء كان كله واحداً فهم متحدون في المذهب منذ آدم الى محمد وقد
نزلت ثلاث كتب سماوية وهي الزبور والتوراة والقرآن . والقرآن بالنسبة
الى التوراة كالتوراة بالنسبة الى الزبور أو ان محمداً بالنظر الى عيسى كعيسى
بالنظر الى موسى ولاكن الامر الذي تهتم معرفته هو ان القرآن آخر
كتاب سماوي ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل فلا كتاب بعد القرآن
ولا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلاً اذا تقررت هذا
لم يعد هنالك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة
فمحمد كعيسى قال انه بعث ليعتم رسالة من قبله لا ليبيدها فلم يكن من امره
الابتعاد عن تقدمه ولذلك كان يصرح على الدوام بانه يعيد على الناس ما نزل
على الانبياء من قبله وكان يسمع صوتاً من السماء يقول له (انا وحينئذ اليك
كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وأتينا داود
زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وكان الله عزيزاً حكيماً) وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا

فَاعْبُدُونِ (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والذبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون) على ان بعض المشابهات لا تحتاج الى مثل هذا التفسير اذ نفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الانبياء من بنى اسرائيل وكان يعبد الله الذى عبده فلا عجب ان تشابهت الفاظ التضمرات وتجانست أصوات الدعاء .

اذن لا يمكن ان ننكر على محمد (صلعم) فى الدور الاول من حياته كمال ايمانه واخلاص صدقه فاما الايمان فلم يترزعزع مثقال ذرة من قلبه فى الدور الثانى وما أوتيه من النصر كان من شأنه ان يقويه على الايمان لولا ان الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه ولم يكن فيه عيب بل ان ما نسبوه اليه من هذا القبيل لا يؤثر بشئ على سيرته الطاهرة فما كان يميل الى الزخارف ولم يكن شحيحاً بل كان كما قال أبو الفداء يستدرّ اللب من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ويرتق ثيابه ونعاله بيده ويلبسها مرقة مرتقة وكان قنوعاً خرج من هذا الباب كما رواه أبو هريرة ولم يشبع من خبز الشعير مرة فى حياته هذا هو النبي الذى قال عنه المنشدون من النصارى (انه كان منهما يأتى المغيبات فى الحانات) تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى فى بلاد العرب ولكنه لم ينجح الى الاستبداد فيها فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً وقد احتقر المال والمعالى وبلغ من السلطان منتهاه ولم يكن له من علامات الامارة والملك سوى قضيب من الفضة مكتوب عليه (محمد رسول الله) ولم يكن فيه عيب الا كما خلق

الله الانسان قال (رونان) خلق الانسان ضعيفاً فلا يقوى على احتمال الرسالة الربانية زمنًا طويلاً ومن لم تطل مدة رسالته فهو من البررة المعصومين) ومع ذلك فرونان لا يمتقد بصدق رسالة النبي العربي

على انه لو صح انه كان فيه عيوب اكبر مما نسب اليه لما قدح ذلك في رسالته لان هبة النبوة كمواهب الوحي لا تستلزم حتماً خلواً من اختصاص بها فلقد هني داوود مع بنت صابا ونحن نعلم ان من ذريته المباركة أنبياء بني اسرائيل وان الله ينزل حكمه آيات تحار فيها الافكار ومهما اجتهدنا في ادراك كل معنى من معانيه فاننا به جاهلون فلقد وعد ملوك بني اسرائيل ان يرسل المسيح من اصلايهم ورأينا ان عيسى ولد على غير ما عهدوا

على ان محمداً (صلعم) كان يقول عن نفسه انه يخشى العذاب ويسأل الله الغفران وكم من مرة شوهدت علي وجهه علام الملع وما به من هول رسالته عند ما كان يتلو علي الناس آيات الفزع الاكبر

هذا ما كان من صدقه وأمانته في السنين الاولى من بعثته حتى سماه معاصروه بالامين وأما حاله في بقية مدته بمد ان صار رئيساً سياسياً فالاستدلال عليه ادق وادعى الى طول البحث والتنقيب قال (رينارد دوزي) يكاد ان يكون من المستحيل الجزم بان محمداً كان في آخر حياته يعتقد بصدق رسالته اما في الدور الاول فاعتقاده وصدقته لا شك فيهما والادلة كثيرة من الجانبين ووضع المسئلة على هذه الكيفية هو الذي فرق بين الباحثين وانتصر كل حزب من المتطرفين لرأى رجحه تبع امياله وما يشتهي الا ان الناقد المنصف لا يجب عليه ان يرجح قولاً على آخر بدون

ملاحظة القرائن التي تتبع الاثنيين ولكن الناس كما وصفهم (موسيو مونور) محتاجون الى الايقان والاعتقاد وهم في احتياجهم هذا يعيلون الى من يلقي عليهم المسائل كأنها حقيقة ثابتة ويعتقون من ينهائم عن الاعتقاد بشيء او نفيه مطلقاً بغير ثبوت ولا دليل ولست ممن يدعى الترفع عن هذا التقريع غير اني اقول انه بفرض صحة المذهبيين وان صدق النبي في آخر حياته وعدمه سيان في الوضوح والدليل فلا يزال عندنا سبيل آخر للوصول الى الحقيقة أو القرب منها ألا وهو علم النفس وحركاتها وهذا العلم وان لم يبلغ بعد الدرجة التي تزيل كل شبهة علقنا بالافكار لكنه مع ذلك يوصلنا الى الايقان بان من الانبياء من لا يتيسر للباحثين ان يجزموا بشيء في امرهم كأن يؤكّدوا انهم صادقون او انهم جروا في اعمالهم على ما يخالف الواقع وهم يعلمون كما يفعل السياسيون وما من كاتب ولا باحث يستطيع ان يجزم بان الامبراطور كونستنتان الذي رفعه القسس مكاناً علياً في المعابد وأختصوه بالمواهب الالهية كان صادقاً بعد انتصاره في قنطرة (ميلفيوس) ولكن محمداً قاوم الوثنية بعزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الاحد كما فعل الملك الروماني وايمانه كان حقاً ثابتاً على الدوام لذلك لم تتغير حميته ولم تفرغ عزمته فقد انتهى كما بدأ ولو انه جال بفكره ساعة من زمانه شك في صدق رسالته لكنني بنصره الدائم مزى الالهة العمة ومؤيداً له في صحة نبوته وصدق رسالته

وفي الصدق درجات فليتبينها الباحثون وليفقهوها قبل ان يحكموا بالبدع وهم مخطئون ولقد عانى محمد (صلعم) كثيراً مع بني قومه اذ كانوا منكرين

ولم يأخذهم على غرة منهم بعد ان صاروا مؤمنين نحن لانصدق بما يقولون بل نرى ان قومه كانوا في استعمال امانته من المتطرفين ولئن أعجم لهم القول حيناً في مخاطبتهم فذلك لانه يمز وجود من يحب الحق ولا تلجئه الحوادث الى الاعجام طلباً لتقريره في ذهن قوم جا حدين ان الذين ينكرون صدق محمد في آخر حياته لا يستطيعون ان ينكروا عليه انه بقي الى آخر لحظة منها نبيا رسولا شديد التمسك بمذهبه وانه فارق الدنيا مؤقتاً باداء رسالته فلقد اتفق مؤرخو العرب طراً على الحوادث التي تخللت ايامه الاخيرة وأورثونا عنهم ما كان من حركاته وسكناته بقول واحد ومعنى لا يتغيرهما يبرهن على صدق حديثهم وامانتهم في نقلهم ولولا زيف المنشدين من النصارى وكثرة تخيلهم لما قالوا (ان محمد قد مات تنهشه الخنازير اذ وجدوه نشوان وليس عنده معين ولا نصير) تلك جريمة لا تقترف وما يستغرب له المطالع ان يجد حكاية هذا الموت الفاضح في تاريخ الحرب الصليبية الاولى لمؤلفة (جيبير دى نوجان) وهو معدود من المؤرخين الذين لا يميلون الى التخريف غير انه اتى بهذه الاكذوبة وزاد عليها ان المسلمين كرهوا لحم الخنزير من ذلك التاريخ فلانسدل ثوب النسيان على هذه الافاصيص المحزنة وانقرأ كيفية وفاة النبي في كتب المؤرخين الصادقين

لما قربت المنية خارت قواه وخرج الى الحج بمكة في شهر مارس سنة ٦٣٢ ميلادية وهي حجة الوداع وخطب في الناس على منبر المسجد المقدس فقال رب انى أديت رسالتى وبانت امانتى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم

نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) ثم رجع الى المدينة وأقام بيت عائشة
 زوجته المصطفاة برضاء من زوجاته ولما أحس بقرب الاجل ذكر الفقراء
 فانه لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع اليه شيئاً منه انفقه في
 الصدقات وكان اعطى عائشة يسيراً لتحفظه فلما حضره المرض امر بانفاقه
 على المعوزين لساعته وغاب في سنة ولما أفاق سأله ان كانت اتفدت امره
 فاجابته كلا فامر بالنقود و اشار الى العائلات المعوزات فوزع عليهم وقال
 (الآن استراح قلبي فاني كنت أخشى ان الأقي ربي وانا املك هذا المال)
 وكان في مرضه يخرج كل يوم ليصلي الظهر بالناس و آخر يوم خرج
 فيه هو الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٢ وكانت مشيته مضطربة فتوكل على
 الفضل بن العباس وعلي بن ابي طالب وقصد منبر الخطابه الذي كان يعظ
 الناس عليه قبل الصلاة وحمد الله واثني عليه ثم خطب في المسامير بصوت
 رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال (ايها الذين تسمعون قولي ان كنت
 ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهري فليضربه وان كنت اسأت سمعة
 احد فليدتم من سمعتي وان كنت سلبت أحداً ماله فاليه مالي يقتص منه
 وهو في حل من غضبي فان الغل بعيد عن قلبي) ثم نزل من المنبر وصلى
 بالجماعة ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من ازاره وطلب منه ثلاثة
 دراهم ديناً له فاداهها على الفور (قائل الخزي الدنيا اهون من خزي الآخرة)
 ثم دعا لمن حارب معه في أحد وسأل الله لهم الرحمة والغفران وكان مشهد
 النبي بين المؤمنين في ذلك اليوم مشهد جلال ووقار والناس يلمحون على
 وجهه تأثير السم الذي شربه من يديهودية خبير وقلوبهم منفتحة من الوجد

عليه ذلك انه لما كان في واقعة خيبر قدمت اليه يهودية اسمها زينب شاة مشوية اضافت اليها سما فاخذ منه النبي قطعة واحدة بين شفتيه وأحس بانها مسمومة فالقاها . ثم لما حضرته الوفاة بعد حين كان يقول (مازالت تعاودني اكلة خيبر) وكان أبو بكر نفسه يبكي ويقول للرسول (هلاً اقتدينا روحك بارواحنا) ثم اوصله الصحابة الى بيت عائشة واضطجع تعباً مهزولاً وصار المرض يشتد عليه فتخلف عن الصلاة بالمسلمين وقيل له قد جاء وقت الظهر فاشار الى أبي بكر ليصلي بالناس فكان من وراء هذه الاشارة خلافة أبي بكر بعد النبي . واخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت (كانت رأس رسول الله مسندة الى صدرى وبقر به قد رماء، وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه ويقول (رب اعنى على تحمل سكرات الموت ادن منى يا جبريل رب اغفر لى واجمع بين اصدقائى فى السماء ثم ثقلت رأسه ومال ثانية الى صدرى)

أما خلفاته فيبيت بناه بيده وبضع نياق آلت الى بيت المال لانه عليه الصلاة والسلام قال (نحن معاشر الانبياء لانورث)

الى هنا تقصر القول عن ذات النبي فما أردنا ان نطيل فيها لالنعرف حقيقة تلك النفس المتشعبة بالدين اذ الدين يدعو الى الدين وكان من الوجوب دقة البحث عن اعتقاده (صلى الله عليه وسلم) قبل ان نتبع دينه كيف انتشر ولا يزال ينتشر فى الوجود

فصل ثانى

﴿ الاسلام فى زمن الفتح ومدة حكم العرب ﴾

استعلاء بلاد العرب على الاسلام — القديس (اوغستان)
ومعاينة أهل البدع — انتشار الاسلام وملاينته فى الشرق —
اعتناق الاسلام بمصر فى زمن بنى امية — الاسلام فى
الاندلس — اضطهاد قرطبة — تعذيب (فلورا)
العدراء — المضطهدون فى مرا كس — نتائج
ملاينة الدين الاسلامى

قال القديس (بولص) يطلب اليهود معجزات ليصدقوا واليونان ادلة
ليؤمنوا واما العرب فانهم آمنوا بغير معجزات ولا أدلة اذ النبي كان يقول
جلسائه على الدوام انه آدمى مثلهم وانه مرسل اليهم وانه مجرد عن كل
سلطان فى المعجزات (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله واحد)
(قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)
واما البراهين فنحن نعلم مقدار بعد عقله عن التخيلات الذهنية
كلامه التى بعث فيها الا اننا رأينا الاسلام فى وقعة بدر سنة ٦٢٤ ميلادية
وليس له من الانصار الا ثلثمائة واربعه عشر نفرا فلم يمض عليه قرن واحد

حتى اجتاز جبال (الألب) وتوسط البلاد الفرنسية وقد اسلمت الشام
والعجم ومصر وبلاد الغرب من مرا كش الى الجزائر الى تونس الى
طرابلس . نعم قد سبق هذا الانتشار العظيم عناء شديد واضطراب في العمل
كثير واضطهاد للناس كبير شأن كل ديانة عامة في مبدأ ظهورها ولكن
الاسلام لم يلبث ان تغلب على اكبر العثرات فهد الصماب حتى صار لا يعرف
حاجزاً ولا ممانعاً

وما أشبه الدين في انتشاره بامتداد السائلات، الطبيعية فهو نتيجة
مؤثرين مؤثر داخلي يسمى المقاوم ومؤثر خارجي وهو المحرك والاول خفي
لا يظهر اثره وان كان هو الذي يلتقط جميع الحرارة الواصلة الى الجسم فعمله
الوحيد التغلب على مقاومة العناصر فاذا انحلت جاء المؤثر الخارجي فنشأ
عنه مع اختلاف يسير تمدد الجسم العظيم الذي يسمى تبخراً وقد احتاج
الاسلام في الانتشار الى التغلب على قوة العوائد والتقاليد التي وجدها وهو
مانع يصادف كل دين جديد الا انه كان قوياً للغاية عند العرب لتمسكهم
بماداتهم واعجابهم برسوم قبائلهم العريقة القديمة وكان من الصعب جداً
ان يعتقدوا ديناً يرى اباؤهم غير مطهرين ومن الموانع التي قوت العرب في
استمعصامهم على الاسلام ما شتمل عليه من عيب قهر النفوس وتذليلها للواحد
المعبود فالقول بالمساواة بين الناس طراً امامه كان ثقيلاً على آذان العرب
مخالفاً لتقاليدهم الاولية حتى يدينوا اليه بغير عناء ولذلك فان الاسلام سنة
٦٣٢ ميلادية ايام وفاة النبي لم يكد يبلغ حدود جزيرة العرب الا انه كان
بين المسلمين الاولين رجال من العظماء اعترف بفضلهم الالب (بروغلي)

حيث قال (ان الذين آمنوا بمحمد كانوا قوما صادقين ذوى دراية وذكاء منهم ابوبكر وعمر رجلا ن تولىا زمام مملكة فسيحة الارجا، فاحسنا سياستها وكانا ذوى ثبات وعدل وقناعة وفضل وشدة عزيمة وكانا ارفع قدراً وابعد مرى من القياصرة والحكام الذين حاربوها) ومن الغريب ان الدين الاسلامى لم يلق فى طريقه من المقاومات الاما قابله بها العرب الوثنيون فانهم كما قدمنا كانوا مدفوعين الى المقاومة بسبب تمسكهم بعوائدهم وشماثرهم القديمة وحبهم لحريةهم واستقلالهم فكان جميع تلك القبائل المنشورة وهم رحل فى الوديان غيورون على اطلاقهم فى الفلوات لايمرفون من الحكم الاسوق الماشية الى المرعى ومحاربة بعضهم فى كل آن وتكوين أمة واحدة منهم أكبر عتبة قامت فى وجه النبي ولولا قوة الدين الجديد لما بقيت تلك الوحدة زمنًا طويلًا على انها لم تدم الا وقتًا وعادت بمد ذلك الى التفرق والانقسام غير ان القبائل بمد تفرق وحدثها الاتزال متمسكة بدينها الجديد وصار الاسم العربى ذالمقام الاول بين الأسماء فى جميع أطراف المسكونة وصار كل ينتسب الى عائلة من عائلات الجزيرة خصوصًا عائلة قريش ذات المجد الباذخ والشرف الرفيع وهذا هو السبب فى اطلاق اسم العرب فى التاريخ على أمور كثيرة فقالوا عائلة كذا عربية وأمة كذا عربية وتمدن كذا عربى مع انه لا جامعة بينها وبين بلاد العرب سوى الاسلام

ولم تتوحد قبائل العرب لتصير أمة واحدة من غير اراقة الدماء بل قامت حروب داخلية اذكتها الاحقاد القديمة وجلبت على المتحاربين خسائر جلى وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) مهتمًا كثيرًا بفتح العرب

كلها لظهوره بينهم وكون بلاد العرب صارت مطلع شمس الاسلام حيث ترسل اشعة نورها في جميع الاقطار وكان اشياعه يسمعونه على الدوام يكرر عليهم هذا النداء (لا يكون دينان في العرب أبداً) ولذلك نزلت في القبائل المعاندة تلك الآيات التي تنذر بغضب الله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماؤاهم جهنم وبئس المصير) (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ذلك بانهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم) فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا تخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد نظر بعضهم الى هذه الآيات وما يماثلها فاتهموا النبي بالتعصب أفما كان يجب عليه أن يحارب بقوة السلاح المعاندين من الوثنيين ليبيد تلك الديانة الى الابد من بلاد العرب كما انها هي التي اخنت على مذهب التوحيد مذهب الخليل قبل الاسلام وان يجعل بين المؤمنين وبين عبادة الاصنام حداً فلا يرجعوا اليها (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)

ولقد فرق جميع مفسري القرآن على الدوام بين الوثنيين وبقية الكافرين فالحجوسى على قول خليل هو الوثني الذي لا يعترف المسلمون بديانته كما يعترفون بدين اليهود والنصارى وليس له مقام في دارهم وان أدى الجزية لانها غير مقبولة منه ويجب عليه أن يهاجر في ثلاثة أيام من يوم تكليفه بذلك أو ان يعتنق الاسلام أو ان يموت على اننا نرى في الكتاب الخامس من الزبور أمراً بالتشدد في معاملة الوثنيين قال (اذا دخلك ربك في ارض

تملكها وقد أبادا مما كثيرة من قبلك فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم ولا تعطهم عهداً ولا تأخذنك عليهم شفقة أبداً). كذلك أمر الله إسرائيل باستئصال سكان المدائن التي اختص بها قومه ولم يأمر بالاشفاق الاعلى المدن البعيدة التي لا تصل عدواهم اليه ثم ان شدة اعتقاد النبي وقوة ايمانه بان القرآن أنزل اليه ليخرج الناس من الظلمات الى النور سببان يؤيدانه في استعمال الحرب فكان مثل اشعيا يخدم ربه بابادة الوثنيين كذلك اعتناق بعض القبائل للاسلام في مبدأ ظهوره كان اوجب عداوات شتى اشتعلت بسببها نيران الفتن في بلاد العرب اجمعها وما كان ينبغي للنبي حباً في السلام ان يترك الباطل يعلو على كلمة الحق المبين

كتب القديس اوغستان وعصره ليس ببعيد عنا كتابه الشهير الى الكونت (بونيفاس) يشير عليه فيه باستعمال القوة لردع اهل البدع من المسيحيين وردهم الى الديانة النصرانية (راجع ترجمة هذا الخطاب في الملحق الثاني) وقد جاء فيه تمثيل المذشقين بفعال تعض وترفس قوما يعالجونها مما اصابها وهم ملجئون الى تعذيبها ليتمكنوا من اضميد جراحها وان الطفل الصغير لا تيسر تربيته بغير السياط والايلام الجسماني فالاضطهاد الذي يستعمل ضد الاشرار لردمهم الى طريق الخير أكبر خير يصنع معهم نعم لا يشك احد في ان حمل الناس على طاعة الله بالحسنى وبالتعليم اولى من الجأهم اليها بالارهاب والتعذيب الا ان الناس رجالان فمنهم من يسهل اقتناعه بالمناظرة فيرجع الى الحق ومنهم الغبي المكابر ولقد دلتنا التجارب والاتزال ترى ان الناس من ينفع الخوف في تعليمهم او في استعمال ما تعلموه على الوجه

الذى ينبغي ثم أخذ الكاتب يشرح للمكشوب اليه ان الاضطهاد عدل وظلم فهو عدل من الاتقياء ضد الاشقياء، وظلم من هؤلاء على الاولين قال (تضطهد الكنيسة من تحب ويضطهد الاشرار من يكرهون فهي تريد جمع الشمل وهم يفرقون وهي تجرى خلف الهدى وهم للضلال يسارعون) ولقد كان يتعذر ان يلاقى الناس تساهلاً وليناً من الاسلام في مبدأ ظهوره لما فيه من المخالفة لثورة الدين في نفس النبي واصحابه الاولين ولكن بعد ان دانت العرب وآمنت بالقرآن واستنارت القلوب بنور الدين الحنيف برز المسلمون في ثوب جديد امام اهل الارض قاطبة هو المسالمة وحرية الافكار في المعاملات وتناوبت آيات القرآن تأمر بالمحاسبة بمدتك الآيات التي كانت تنذر القبائل المارقة (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرأ جميلاً) وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً

هكذا كانت تعامل النبي بعد اسلام العرب وقد اقتنى اثره فيها الخلفاء من بعده وذلك يحم لنا على القول كما قال (روبنسون) ان شيعة محمد هم وخدمهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم وهذه المحبة التي دفعت العرب في طريق الفتح وهو سبب لا حرج فيه فذشر القرآن جناحية خلف جيوشه المظفرة اذ اغاروا على الشام وساروا سير الصواعق الى افريقيا الشمالية من البحر الاحمر الى المحيط الاطلانطي ولم يتركوا أثراً للعسف في طريقهم الا ما كان لابد منه في كل حرب وقتال فلم يقتلوا امة ابت الاسلام ولو

قارنا بين اغارة المتبربرين وبين اغارة المسلمين التي تلتها لوجدنا الثانية اخف ضرراً واكثر ليناً فكلمنا التقى المسلمون باهة خيروها بين واحد من ثلاث الاسلام او الجزية او تحكيم الحرب حتى تضع اوزارها هكذا كانت الاوامر التي زود بها ابو بكر الصديق خالد بن الوليد لما انفذه الى الشام وقد سرت هذه الاوامر الا في الوثنيين لما تقدم بيانه من انهم كانوا يعاملون بغير معاملة الامم الاخرى ومما يحسن هنا ان تقابل بين اوامر ابي بكر (رضى الله عنه) وبين تعاليم الكتاب الخامس من الزبور فيما يتعلق بحصار المدائن ومعاملة الكلدانيين قال (اذا اقتربت من مدينة لتحاصرها فاعرض عليها الامان فان قبلته فقد سلم كل من فيها وان ابت وبادأتك بالعدوان فشدد الحصار عليها ومتى وفقك الله للظفر بها فاحطم رأس كل ذكر فيها بحد الحسام)

ولم يلق المسلمون من نصارى آسيا وافريقيا الامقاومة خفيفة اخلدوا بعدها الى الدين الجديد ولقد مضى زمن طويل وهم ينسبون سقوط تلك الكنائس في حوزة الاسلام مع ما كان لها من المكانة الرفيعة قبله مثل كنائس (قرطاجنة) الى ما استعمله المسلمون معهم من العنف والتعصب وعدم المحاسنة وذهب معاصرو هذا الفتح من المؤلفين الى تفسيره بما يلائم احوال زمنهم فنسبوا سرعة تقدم الاسلام الى ما استحقه المسيحيون من غضب الله عليهم فاراد ان يعاقبهم على زيغهم واراد قوم من المتعبدین ان يؤيدوا هذه الحجة وان يخرضوا الناس على التوبة فبالغوا في ذلك الزيغ وشددوا التكبر على النصارى وصاروا يعززون بان الجيوش الاسلامية انما

هي الآلة التي اراد الله ان ينتقم منهم بواسطتها ذلك لان الفتح الاسلامي وتفرق الكنائس المسيحية في آسيا وافريقيا حادثان متلازمان فلا لوم على المؤرخين في الجمع بينهما حتى ان الفاتحين انفسهم ما كانوا يفرقون بين اعتناق الاسلام ولرضوخ للقوة الظاهرة ولكن الخطأ عند الجميع هو تعليقهم الثانية على الاولى مع انه لا يوجد بينهما الا تفاعل من بعض الوجوه فكما ان الفتح الاسلامي حمل النصارى على ترك دينهم كذلك تفرق ذات بينهم سهل الفتح للمسلمين

انكر (آريوس) ألوهية عيسى فكان بذلك طليعة لنبي المسلمين اذ فتح الطريق الى الاسلام لان الاسلام ما كان يقول عن المسيح الا انه آخر الرسل قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعد ان ظهر لم يقم أحد بطعن يذكر ضد مذهب التثليث بل جرى الناس عليه بالاجماع اثني عشر قرناً متتالية حتى صار عاماً ولم يعد الباحثون غير المتدينين يجراؤن على نبذه من بين الديانات القائلة بالتوحيد لما يلزمه من تعدد ذات الاله ولذلك كان من خوارق العادات قيام أسقف الاسكندرية آريوس في وجه الدين المسيحي حتى ارتجت له اركان ذلك الدين واستولى اليأس على قلوب المسيحيين المخلصين وصار القديس (جيروم) يتنهد الصعداء قائلاً لقد اندهش الكون من صيرورة الناس كفاراً لا يعتقدون بتجسم الاب في الابن) ومع ان المسيحيين اتباع (نيس) تمكنوا من التغلب على هذا المذهب الجديد فقد نتج من هذا الخلاف الشقاق عظيم في كنائس افريقيا وآسيا وظهر الاسلام بخطو خطاه الواسعة فلم ير فيه أولئك المتنافسون ديناً جديداً

بل قبلوه مذهباً مسيحياً

ولا انتشار الإسلام ورضوخ الأمم لسلطانه سبب آخر في هاتين القارتين آسيا وأفريقيا الشمالية هو استبداد القسطنطينية فانه كان قد بلغ منتهى السف ووصل جور الحكام الى درجة ازهقت النفوس فلما جاء الإسلام تراموا اليه هرباً من الضرائب الفادحة واستلاب الاموال لانه كلما اسلمت عشيرة رفع عنها ائقال المغارم ورد اليها مالها المسلوب ومن لم يقبل شريعة القرآن عومل هذه المعاملة عينها بلا قيد غير اداء الجزية وكانت شيئاً يسيراً (العشر) أو جزءاً من اثني عشر وبذلك آمنوا في ظل لدين الجديد ولم يتعرض اليهم أحد من دعائه في دينهم ولم يفرق بين أصلي في المسيحية ومنشق عنها وهذه المعاملة هي التي جاء بها القرآن وجرى عليها الخلفاء الاولون فكان اليهود والمسيحيون يسمون ذميين وهم ثلاثة ذميون ومستأمنون ومحاربون فالاول منهم من سكن بلاد المسلمين ودان لسلطة الحاكم الاسلامي وأدى الجزية اليه يعبد الله على دينه ولا يكره على الاسلام ويخضع لقوانين النظام والامن العام ويرجع الى دينه في الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث الا اذا اشترك معه مسلم فالدين الاسلامي ومن اخطأ الفاحش استعمال لفظة الذمي في معنى الخسة والجبانة لأن معناها الحقيقي (المؤمن بتشديد الميم الثانية وفتحها)

والمستأمن هو الغريب العابر السبيل وهو يعيش تحت حماية المعاهدات والقوانين الدولية العامة وأما المحارب فهو من كان في بلاد تجاهر بالعداوة للإسلام أو لم تتعاقد مع المسلمين على ما يضمن لاهلها الامان في ديارهم فان

وجد في بلد مسلم وشهر السلاح في وجهها خير بين الاسلام أو الاعداء
وما عدا ذلك فهو آمن ان أدى الجزية قال على رضى الله عنه (ما كانت
الجزية الا ليتساوى دم الذمى بدم المسلم وماله بماله) وكان من وراء هذه
المسألة ولين المعاملة تقدم الاسلام حثيثاً وسهولة استعلاء، فأتحيه لما سبقه
من ظلم أ كاسرة المملكة الشرقية التي بغضها الناس وسثموا الحياة منها
هذا واذا انتقلنا من الفتح الاول للاسلام الى استقرار حكومته
استقراراً منظماً رأيناها اكثر محاسنة وانعم مامساً بين مسيحي الشرق على
الاطلاق فما عارض العرب أبداً شعائر الدين المسيحي بل بقيت رومة نفسها
حرة في المراسلات مع الاساقفة الذين مازالوا يرعون الأمة الخالية وفي سنة
١٠٥٣ ميلادية كتب البابا ليون التاسع الى مسيحي افريقيا يوصيهم باعتبار
أسقف (قرطاجنة) مطراناً عاماً بينهم وكان الوثام مستحكما بين المسلمين
والمسيحيين حتى ان (غريغوريوس) السابع كتب الى المسيحيين يلومهم
على المحاكمة مع أسقفهم امام المسلمين وكان ذلك في ٥ سبتمبر سنة ١٠٧٣
ومع هذه المسألة العظيمة من جانب المنتصر الى المغلوب ضعفت الديانة
النصرانية جداً ثم زالت بالمرّة من شمال افريقيا . على ان الاسلام لم يكن
له عمال مخصوصون يقومون بالدعوة اليه وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية
ولو انه كان له أناس قوامون لسهل علينا اشكال معرفة السبب في تقدمه
القريب فانا شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه
ركباً من القسس والرهبان لياشروا بفتح الضمائر والقلوب بمد أن يكون هو
قد باشر فتح المدن والاقاليم بجيوشه التي كان يصلي بها الامم حرباً تجعل

الولدان شيبا ولا كنا لا نعلم الاسلام (مجمعا دينياً) ولا رسلا وأخبار أورآء الجيوش ولا رهينة بعد الفتح فلم يكره احد عليه بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والاختزال بالباب نعم قد اعتنق الاسلام قوم مشوا أورآء منافعهم ولكنهم قليلون بجانب من اسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح وكان ذلك من اسهل الامور لبساطة الدين وكفاية النطق بكلمة التوحيد ليصير قائلها من المسلمين . ومع ذلك فلم نر بعد استقرار الحكومة الاسلامية على محور النظام عشائر من المسيحين تركوا دينهم جملة واحدة بل انه صار من اللازم ان يثبت الاسلام لمن اراده على يد القاضى ويحرم بذلك محضر يدكر فيه ان المسيحي اعتنق الاسلام عن اعتقاد تام غير خائف ولا مكره اذ لا يجوز ان يكره احد على تغيير دينة (راجع المحضر المذكور فى الملحق الثالث) ^(١)

وقد كثر دخول المسيحين فى الدين الاسلامى ايام حكم الامويين حتى ان الخلفاء لم ينظروا اليه بعين الرضا لما كان ينشأ عنه من الضرر ببیت المال فقد نزلت ضرائب مصر مدة خلافة معاوية الى النصف عما كانت عليه فى خلافة عثمان بسبب دخول عدد عديد من الاقباط فى الاسلام ومن أجل ذلك ضيق الخلفاء باب الدخول فى الدين الجديد فلم يعفو الراغبين فيه من أداء الجزية يدلنا عليه ما كتبه حيان الى عمر الثانى وهو عمر بن عبد العزيز اتقى الخلفاء الامويين حيث قال له فى

(١) هذا ليس بواجب شرعا ولعل المؤلف اخذ ما يقول من سر بيان العادة به

خطابه (اذا دام الحال في مصر على ما هو فيه الآن أصبح مسيحيو هذه البلاد كلهم مسلمين وخسرت الخلافة حينئذ متجيبه منهم من الاموال) فلما قرأ الخليفة هذا الكتاب انفذ لساعته الى حيان رسولا وقال له (اذا لقيت حيانا فاضربه ثلاثين سوطاً على أم رأسه عقاباً له على كتابه وقل له ان يرفع الجزية عن كل رجل يمتنق الاسلام فاني ارى سعادتي في ان يصبح المسيحيون أجمعون من المسلمين لان الله ارسل نبيه ليبلغ رسالته لا ليجمع الضرائب والاموال) وليس في خوف المسلمين على نقاد النقود من بيت المال ما يوجب استغرابنا لان الضرائب في الجزائر تصيب مسلميها فهي اكثر جداً من التي تطلب من المسيحيين فلو تنصر مسلمو الجزائر ومنحوا جميع الامتيازات المخولة للمسيحيين لاصبحنا في حيرة شديدة من قلة المال

ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الاندلس حتى صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين الذين يقال لهم (فيزيجو) ويقول (دوزي) ان هذا الفتح لم يكن مضرراً بالاندلس وما حصل من الاضطراب والهرج بعمده لم يلبث ان زال باستقرار الحكومة المطلقة الاسلامية في تلك البلاد وقد ابقى المسلمون سكانها على دينهم وشرعهم وقضائهم وقلدوهم بعض الوظائف حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء وكثير منهم تولى قيادة الجيوش مثل (سيد) وتولد عن هذه السياسة الرحيمة انخياز عقلاء الأمة الاندلسية الى المسلمين وحصل بينهم زواج كثير وكم من اندلسي بقى على دينه ولكنه

اعجبه طلاوة التمدن العربي فتعلم اللغة وآدبها وصار القسس يأمونهم على ترك الحان الكنيسة والتعلق باشعار الظافرين وكانت حرية الاديان بالغة منهاها . لذلك لما اضطهدت اوروبا المسيويين لجأوا الى خلفاء الاندلس في (قرطبة) لكن لما دخل الملك (كارلوس) في سراقسطه مر جنوده بهم جميع معابد اليهود ومساجد المسلمين ونحن نعلم ان المسيحيين ايام الحروب الصليبية ما دخلوا بلادا الا واعملوا السيف في يهودها ومسلميها وذلك يؤيد ان اليهود انما وجدوا مجيراً وملجأ في الاسلام فان كانت لهم باقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين جانبهم لا الى ما يوجد بين الاثنيين من الجامعة في الاصل والجنس واللغة والدين كما دعاه (افيديكور شايبكين)

ولا يطلب المسلمون من مسيحي الاندلس الا ما فرضود على غيرهم وهو الجزية ويحسن بي ان اذكر هنا نادرة رواها أحد مؤرخي العرب لكونها تدلنا على آرائهم في الجزية وما كان بين المسلمين والنصارى من الملائق والروابط (كان لفقير من فقهاء قرطبة جار مسيحي يسلم عليه كلما لاقاه في طريقه بقوله اطال الله عمرك فسمعه ذات يوم بعض المتشددين في التمسك باقرآن ولا موه على دعائه لجاره النصراني بمثل هذا الدعاء فلم يحفل الفقيه بلامهم واجابهم بسكينة اني بقولى الى نصراني اطال الله بقاءك اريد ان يفسح له في الاجل ليؤدي الجزية زمنا طويلا والظاهر ان الفقيه كان مصافيا للمسيحي وانه اراد التخلص من عتب الاثنيين فاسكتهم بهذا الجواب . وقصص العرب والاندلسيين محشوة بمثل هذه النادرة مما

يدل علي حصول المودة الا كيدة بين الفريقين . فما هو مبالغ فيه اذن
تعظيم الضعيفة التي كانت بين الامتين اما رأينا الخلفاء انفسهم في الشام
والاندلس يتخذون لهم نصحاء من المسيحيين ويرفعونهم الى اعلي الدرجات
وكان المسلمون يشكون من ذلك علنا ويرددون هذه الحكمة البديهيّة التي
نزلت علي النبي (صلى الله عليه وسلم) يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود
والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين)

وذهب العلماء الى تحريم مصافاة المسيحيين (١) وقالوا بعدم جواز
ولايتهم في المناصب الا ان اوامر الدين لاتقوى على الضرورة فتولى
المسيحيين مناصب في الاسلام كان ضربة لازب عقب الفتح لعدم تعود
العرب على سياسة الامم فكانت ادارة ممالكهم من اصعب الامور لديهم
ووجب لذلك استخدام المسيحيين لا ان اوائك الموظفين كانوا يشوهون
بوجودهم في المناصب وحدة الاسلام وقد سماهم المحدثون من العرب (قذى
حقيقياً في أعين الاسلام) وكان بغض المسلمين اليهم سبباً في الغالب من
جورهم في الاحكام لا من مخالفتهم في الدين

وايس من غرضي ان آتى علي تاريخ المسيحيين في الممالك الاسلامية
ايام القرون الوسطى ولكن من البديهي انه لا بد من ان يكون حصل بين
الفريقين تعدد واعتساف كما يحصل المد والجزر في البحر الا ان رأى المؤرخ

(١) الآية لا تدل الاعلى منع الولاية وليس في الشريعة ما يحرم المصافاة كما سبق

لأبائيه من جمع الحوادث مجردة عن ظروفها بل من نظره في أسباب تلك الحوادث والوقوف على كيفية ظهورها وأنا قد قرأت التاريخ وكان رأيي بعد ذلك ان معاملة المسلمين للمسيحيين تدل على ترفع في المعاشرة عن الغلظة وعلى حسن مسايرة ولطف مجاملة وهو احساس لم يشاهد في غير المسلمين اذ ذاك خصوصاً وان الشفقة والحنان كانا عنوان الضعف عند الاوروبيين وهذه حقيقة لا أرى وجها للطعن فيها على وجه العموم . على انه لا يسعني ان أترك ذكر حادث عظيم الشأن ذلك ان الكنيسة الاندلسية تخيلت سنة ١٥١٨ انها على شفا جرف الاضطهاد من المسلمين فينما عامة المسيحيين في قرطبة يقيمون شعائر دينهم مطمئنين ولا يشكون من حكومة العرب كان القليل منهم يتميز من الغيظ ضدّهم بما هيجه القسس والرهبان في صدورهم من الغل وما ملأوا به ضمائرهم من الحق والبعضاء وقد امتاز من بينهم (ايلوغوا) وكان قساً في قرطبة في عنفوان شببته حتى انه احتاج في كسر ثورة نفسه الى قهرها بالصوم والسهر ووهب نفسه للموت حباً في المسيح فانساه هذا الميل كل شهوة دنيوية وكان يجتمع دائماً بمبغضى الاسلام ويخطب فيهم حتى أهاج ضمائرهم لقوة بيانه وهاموا جميعاً يطلبون الموت فداء لدينهم الاندلسي حاد التخيل سهل الاعتقاد بالاوهام وبينما القاضى في مجلسه بمدينة قرطبة اذ دخل عليه راهب يقال له اسحاق وكان كاتباً لاحد أمراء العرب وعلى وجهه سمات التهيج الذهني وعيناه حائرتان فلما صار بين يديه قال حضرت لاعتنق الاسلام فامرّه القاضى أن ينطق بالشهادتين فاندفع بسب النبي والدين سباً شنيعاً فظنه القاضى سكران أو مختل الشعور وتردد

في الحكم باعدامه الا ان اسحاق لم يرجع من أول مرة بل استمر على شتائه حتى اضطر القاضي أن يحكم عليه بالموت على ما به من الحلم طوعا لاشارة الشرع اذ يقضى بالاعدام علي من يسب الرسول وأعداء اسحاق في ٥ يونيه سنة ٨٥١ وهو يترف بالمسيح ويسب محمداً ومن ذلك الحين انفتح الباب أمام كل شخص يظن نفسه معذبا وأراد كل واحد أن يذهب الى المحكمة ليسب محمداً ويموت فتقاطروا اليها أفواجا أفواجا حتى تعب الحجاب من ردهم وكان القاضي يصم الاذن كي لا يحكم عليهم بالاعدام وعقلاء المسلمين مشفقون على هؤلاء المساكين آسفون على ان دينهم يأمرهم باعدامهم وبظنونهم من المجانين وقد بلغ عدد الذين حكم عليهم بالقتل أحد عشر في شهرين واتخذ (ايلوغو) ذلك دليلا على انتصاره لانه هو الذي أوجد خيال الاضطهاد في الاذهان واستحق بذلك ان يتخذ ذكره في الكنائس ومع هذا كان عقلاء المسيحيين يرون أولئك المتعصبين قوماً أرادوا الانتحار ويجاهرون بالتنديد على أعمالهم وكان (ايلوغو) وصاحبه (القارو) يرونهم بالخيانة لعدم اقدمهم على سب النبي ودينه ثم عظم الهياج في كنائس الاندلس واستولى القلق على حاشية الخليفة فامر الامير عبد الرحمن الثاني بجمع رؤساء القسس وطلب منهم الفتوى فيما هو حاصل من المسيحيين فلم يتعرضوا للماضي وقالوا بالمنع في المستقبل وتقرر أن لا يحضر مسيحي امام القاضي الا اذا دعي اليه فانقادوا آسفين ولكن ثورة الخواطر استمرت في الكنائس الى سنة ٨٥٩ وانتهى هذا الدور الذي سماه (ايلوغو) زمن الاضطهاد في قرطبة وتبعه في ذلك غيره من المؤرخين ومن تخلى عن الاغراض لا يرى في ذلك الا ان

قوماً خاطروا بانفسهم فذهبت ضحية الاوهام ولكنه لم يحصل من المسلمين اضطهاد مطلقاً. ودليلنا على ذلك كتاب (ايلوغو) نفسه وكتب من جاء من بعده فانها كلها تنطق بان المسلمين لم يبدأوا بالشر بل ثورة المسيحيين وتعميدهم هما اللذان كانا السبب فيما أصابهم ومن أراد ان يطالع تلك الكتب جزأؤد من تالوتها ان يقف على حكاية حدى العذارى التي كانت تسمى (فلورا) ولدت فلورا من زوجين مختلفين ديناً وجنساً وتيمت صغيرة فربتها أمها على الدين المسيحى وكان لها أخ شديد الاسلام فشقها الى القاضى وعذرت تعذيراً شديداً بالسياط حتى تقطعت بشرة رأسها من الخلف وكانت ذات حسن وجمال (باهرين) كان أبوها كانا من جنسين عظيمين واتفق ان جراحها زادت فى حسنها واهتم بها اشيعاع (ايلوغو) وصاروا يذهبون لمشاهدتها فى المحكمة ويعجبون بشجاعته فى تمسكها بدينها وقد ذهب « ايلوغو » نفسه لزيارتها فكشفت له عن جراح رأسها وشاهدها بغير تلك الشمور التي كانت تزينا فتأثر التقى الصالح (ايلوغو) المرآها واشتغل قلبه بحبها غير انه حب طاهر كما كانت البنت بكرأ ثم وضع يده على الجروح وود لو تمكن من شفائها بين شفتيه ولكنه لم يتمكن فانصرف عنها مكتئباً فكوراً وكانت فلورا تعيش فى عزلة عن نظر المسلمين ولا تخرج من مخبئها الا الى الكنيسة وهناك تعرفت باحدى العذارى واسمها مريم وكان لها أخ حكم عليه بالموت وهى تريد أن تفعل كما فعلت وكانت هذه المعرفة سبباً فى ان كل واحدة منهما اهاجت ضمير اختها حتى وصلتا الى درجة احبنا فيها الموت فذهبتا مسرورتين الى المحكمة لتشتما محمدأمام

القاضي الا ان القاضي أشفق عليهما اشبا بهما وجماهما واجعل اعدامهما ثم أمر لها بالسجن . وما كان الثبات من اصعب الفضائل احتمالاً سيما على الطباع الشديدة التأثر ومضى على البنيتين شهر طوال وهما في السجن تهددان بالفحش والفجور ضعفت منهما العزم بعد أن طلبتا الموت بقلب ثابت ولكن (ايلوغو) ما كان لينسى تلك التي القت في قلبه شعوراً يقرب من العشق والهيام يوم ان كشفت له عن رأسها وانفق انه سجن أيضاً لمخالفته ماقررة القسس لدى الخليفة فسهل عليه ان يراها وكان لذلك أثر شديد في قلبه لكن الدين كان له جماحاً شديداً وأخذ يشجع البنت على الثبات والتعلق باهداب المسيح حتى أعدها ثانية الى تحمل الآلام . الا ان قلبه مع ما هو عليه من التأثر بالدين كان يشعر بامر دنيوى واحساس غريب ذلك ان (ايلوغو) كان يحزن كثيراً لمفارقة فلورا ولكنه ضاعف في حرمان نفسه بالصوم والجوع واراد الله ان لا يطيل عليه هذا العذاب ونفذ الموت في البنيتين يوم ٢٤ نوفمبر سنة ٨٥٣ واطلق من بعدهما صراح (ايلوغو) فعين قساً في (توليد) ومات مقضياً عليه في ١١ مارث سنة ٨٥٩

ولم تنته هذه الثورة من اسبانيا الا في آخر القرن التاسع ومع ذلك حصلت ثورة دينية تشابه ماتقدم بعد ثلاثة اجيال في (شبيليا) ذلك ان القديس (فرانسوى داسيز) كان ارسل بعض اخوة من أشياعه لنشر الدين المسيحي في بلاد المغرب وكان أول عمل أتاه اولئك المرسلون ان دخلوا جامعاً في اشبيليا والمسجونون يصطلون وجعلوا ينشرون الانجيل ويعظون الناس بالدين المسيحي فطردوا ولكنهم ذهبوا الى سراى الملك وجعلوا

يطعنون على القرآن فحكم عليهم بالسجن في منارة فاستعلوها وصاروا
يدعون الناس الى عبادة الدين المسيحي فلم ير السلطان بدأ من نفيهم فارسلهم
الى مراکش فلم يزد هم ذلك الا تشدداً فيما كانوا يفعلون ولم تنفع فيهم شفاعة
دون بيترو مع علو مكانته عند الامير المرراكشي فقتلوا في ١٦ يناير سنة ١٢٢٠
ولقد اطلنا القول في مسالة المسلمين عند انتشار دينهم في الغرب
لان الضد ثابت في أذهان المسيحيين ولا يزال مستحكماً من نفوسهم الى
يومنا هذا ما نظره المؤرخون ومن طافوا بلاد الشرق من مخالفته للواقع
قال ميشو في تاريخ الحروب الصليبية لما استولى عمر على مدينة اورشليم لم
يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً ولكن لما استولى المسيحيون على تلك المدينة
قتلوا المسلمين ولم يشفقوا واحرقوا اليهود حرقاً وقال الخبر ميشون (مما يؤسف
عليه جداً بالنسبة الى المسيحيين ان تأتيمهم المسالة وحسن المعاملة من المسلمين
مع ان المسالة هي أكبر الخيرات بين بعض الامم وبعضها) وقد انتشر الاسلام
شرقي بلاد العرب في جميع القارة الآسيوية بين القرن الثاني عشر والرابع عشر
ولم ينشأ عنه عسف ولا حروب حتى ان حكام المسلمين انفسهم احترموا
مدينة (بيناريس) لاعتبارها عند الهندين مدينة مقدسة مع ان اهلها كانوا
من البراهمة تقريباً. وبالجملة فان الاسلام ما دخل بلداً الا وصار ذا المقام
الاول بين الديانات المسيحية من غير ان يتعرض لحوها

وعلى هذا يتحقق ان الدين الاسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة بل
الاقرب للصواب ان يقال ان كثرة مسالة المسلمين ولين جانبهم كانا
سبباً في سقوط المملكة العربية ولقد يجب المؤرخون من سرعة انتشار

الاسلام حتى بلغ نهر (اللوار) في فرنسا ويتساءلون ما الذي كان يصير اليه حال أوروبا اذا لم يقف (كارلوس مارتل) في وجه المسلمين في سهول (يواتيه) ونحن نرى ان هذا السؤال موضوع وضماً مطلوباً والاولى ان يقال ماذا كان يصير اليه حال أوروبا المسيحية لو كان المسلمون متمصبين لان انكسارهم في يواتيه ليس سبباً كبيراً يكفي لان يعوق الاسلام عن الانتشار كما اصاب في الاشارة اليه موسيو (مرسييه) وخسارة مرة في الحرب لا تنتج عادة مثل هذه النتيجة الكبرى فمادة الحرب ان تكون سجالاتكم من كسرة شفعت بنصر عظيم وقد عال موسيو (مرسييه) انسحاب العرب نهائياً من أوروبا بعد تلك الحرب بالثورة التي قامت بين سكان المغرب لانها منعت عن المسلمين المدد الذي كان يأتيهم من تلك الاقطار وكانت العمدة في حروبهم على عساكرها وهو سبب قوي في الواقع لكننا لا ننسى ان نضيف اليه تطرف المسلمين في المحاسنة فانه سهل العصيان ومهد لبعض عائلات المغرب المستقلة طريق الخروج عن الجامعة في بلاد الاندلس وبلاد المغرب وانتهى الامر مع تلك المحاسنة الى انحلال عناصر المملكة العربية ومن المظنون ان المسلمين لو عاملوا الاندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالامم الساكسونية و(الوانديه) لاخدت الى الاسلام واستقرت عليه لانها مع تمتعها بحريه دينها المسيحي كانت كثيرة الانشقاق والاحزاب

ومالنا ولهذا الظنون والتخمينات وأمامنا أمر واحد ينبغي الوقوف عنده وهو ان ديانة النيران تمكنت من قلوب جميع الامم اليهوديه والمسيحية

٤ - الاسلام

والوثنية في افريقيا الشماليه وفي قسم عظيم من اسيا حتى انه وجد في بلاد
الاندلس من المسيحيين المتتورين من تركوا دينهم حبا في الاسلام كل
هذا بغير اكراه الا ما كان من لوازم الحروب وسيادة حكومة الفاتحين
ومن دون ان يكون للاسلام دعاة وقوام مخصوصون وهو مما يقتنعنا بان
في الاسلام جاذبية وقوة انتشار سبغت فيما بعد عن سببها الحقيقي لانه
لا يزال ينتشر حتى الآن . وقبل ان نبحث عن تلك الاسباب نذبه القارئ
الى ان لا يعد من جعلتها كما ذهب البعض اليه ان الدين الاسلامي ينتشر
لكونه ديناً مادياً اكثر مما هو دين أدبي فهو يبيح تعدد الزوجات ويبشر
أصحابه بالتنعم في اللذائذ الشهوية في جنات بالغ الوصف في نعوتها . وهذا هو
الذي اتخذته أعداء هذا الدين مطعنا عليه زمناطويلا كذلك سنأتي بشيء في القضاء
والقدر لان منهم من رآه سبباً مهما لانتشار الاسلام وعلة الشجاعة التي امتاز بها
المسلم فجعلته لا يعبأ بالموت في مواقف الحروب



لفصل الثالث

﴿ تعدد الزوجات ﴾

تعدد الزوجات قبل الاسلام - تعدد الزوجات في القرآن - الحثمة عند المسلمين

يرى الناس في أكثر الأزمان الوسطى ان أكبر عمل أتى به النبي هو اباحة تعدد الزوجات لانه توصل بذلك الى استجلاب الرجال وتطرف (بيرون) فقال والنساء لانه وعدمه يتمدد الأزواج واعتمد القصاصون على هذه الروايات الكاذبة فوصفوا الاسلام بانه (دين الجاموس والجمال وجميع الحيوانات) وقال (رونان) في كتابه ابن رشد انه (دين الخنازير او القوم المهتمكين في الشهوات) وتعدد الزوجات يجرح اخلاقنا المتمدنة وعوائلنا الدينية على الخصوص فلا تكاد نفقه في شريعة موسى وهي أيضاً شريعة الهية كدين المسيح. قال الاب بروغلي انها ديانة يصعب ادراك مرادها وان الله حللها في ظروف مخصوصة يستحيل علينا معرفتها وكأني به وبأمثاله يخشون على الدين المسيحي من مجاورة ديانتين منزلتين مثله وفيهما آداب تغير ماجاء به ولعمري لست أرى وجهها يمنعنا من ان نعتقد في الشارع الالهي من الحكمة مانعتقده في الشارع الوضعي فشرائع البشر تحتاط في نصوصها وتلاحظ الزمان والمكان في تقرير أحكامها وليس من داع بلجئنا الى أن

يحرم على الشارع الالهي مثل هذا الاحتياط . وذلك هو رأى أحد عمد المتكلمين موسيو (دولست) حيث يقول ان أول شريعة أدبية انزلها الله على الناس كانت موافقة لاحوالهم ملائمة لزمانهم وما كانوا عليه من درجة الآداب . وفي آداب الساميين نقص يوجد مع أصل الخلق لا يمكن جبره مدى الايام وهو كثرة شهوتهم وذلك عيب أدبي لا محالة الا انه برهان على قوة الجسم وسلامة الجنس فالذكر من الشرقيين أكثر قوة ونشاطاً من الغربي . ولذلك قال بمض المشتغلين بعلم طبائع الأمم ان تعدد الزوجات أمر من ضروريات الأمم الشرقية لما فيهم من القوة العظيمة ومن الغرائب الالهية التي تحار في ادراكها الافهام ان الغربي مع ميله الى اعتقاد تعدد الالهة كان على الدوام يأبى الزواج بأكثر من امرأة واحدة والشرقي الذي لا يعبد غير إله واحد يقول بتعدد الزوجات . فالهة كثيرون وزوجة واحدة صيغة تليق عادة بالغربي والله واحد وزوجات متعددت صيغة تجمل بالشرقيين ثم انه ليصعب جداً على الغربيين أن يقدرُوا شريعة القرآن في تعدد الزواج حق قدرها لما بينهم وبين الشرقيين من الاختلاف الكلي في الجنس والدين والتمدن ولذلك فن الامور التي تهم معرفتها ما هم له الباحثون دائماً وهو ان تعدد الزوجات عادة قديمة في العرب قبل الاسلام فكثرة النساء اقدم من وجود الجوامع ومن الخطأ المطلق قول الاب (بروغلي) ان كثرة النساء وجدت مع الاسلام اذ من المحقق ان قبائل العرب الذين اسلموا في مبدأ الامر كانت على هذا المذهب كما عليه الآن الأمم السوداء التي تميل بكلياتها في هذه الايام الى الاسلام وكان هذا

المذهب في تلك القبائل والسود اوسع مما جاء به القرآن فهو لا يبيح الاكثر من اربع بالكتاب ولذلك يقول اولئك القوم عن النبي انه مصلح شديد المعاملة ولا شك في ان ميله اولا كان الى الاقتصار على زوجة واحدة كما جرى على ذلك في اول حياته ولكن كان من الصعب ان يلزم بنى قريش بذلك وقد كان من بينهم مثل الحارث وغيلان لكل عشر نساء اعتنق الاسلام مع زوجهن فلو امرهم بالاقتصار على زوجة واحدة لشق الامر جداً عليهم وصعب احتماله وربما ادى ذلك الى ترزعع عقيدتهم في الدين الجديد لهذا امرهم (صلى الله عليه وسلم) ان اختاروا ما بين ازواجكم اربعا تفضلونهن على البقية وطلقوا ما عداهن ولا يعجبن القارى ان لم اذكر شيئاً عن تعدد زوجات النبي فقد ذكرت طرفاً منه في آخر الفصل الاول وسأعود اليه فيما بعد . ويؤخذ ميل الدين الاسلامي الى تفضيل زوجة واحدة من الآية الثالثة من السورة الرابعة التي تحدد عدد ما يباح من الزوجات (وأن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى ان لا تعولوا) ومعنى القسم الثاني من هذه الآية على ما رواه العلماء هو ان الرجل اذا خاف ان لا يكون عدلاً بين زوجاته وخشى تفضيل احداهن عليهن ولم يكن في حالة تسمح له ان يوفى كلا حقها وجب عليه ان لا يتزوج باكثر من واحدة وذهب بعض العلماء الى ان المسلم ليس حراً في الحكم على ممة مدته وجواز تعدد زوجاته بل الفاضل هو الذي ينظر في ذلك ويقضى بما يظهر له فان رأى عدم العدل

في الطالِبِ حَكْمٌ بِالِاتِّصَارِ عَلَى زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَيَّدُوا قَوْلَهُم بِالْقِصَّةِ الْآتِيَةِ
كَانَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ حُبًّا مَفْرُطًا وَلِذَلِكَ
لَمْ تَمَلْ نَفْسُهُ إِلَى التَّزْوِجِ بِغَيْرِهَا مَعَهَا وَلَكِنَّهُ بَعْدَ سَنِينَ قَضَاهَا فِي السَّعَادَةِ
وَالهِنَاءِ جَنَحَ إِلَى طَلَاوَةِ الْجَدِيدِ وَارَادَ أَنْ يَتَّخِذَ زَوْجَةً ثَانِيَةً وَرَأَتْ زَوْجَتَهُ
أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا ضَرَّةٌ وَرَبَّمَا سَاءَتْ مَعَامَلَتُهَا فَانْكَرَتْ عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ بِإِبْحَتِهِ
فِي الْقُرْآنِ وَقَالَتْ بَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ فَاسْتَدْعَى
الْخَلِيفَةَ أَبَا حَنِيفَةَ وَكَانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ (لَعَلَّ الْمُؤَلَّفَ يَرِيدُ غَيْرَ الْإِمَامِ
الْمُجْتَهِدِ أَبَا حَنِيفَةَ) وَسَأَلَهُ كَمَ مِنَ النِّسَاءِ أُبْحَنُ لِلرَّجُلِ فِي الزَّوْجِ فَأَجَابَ مِنْ
فُورِهِ أَرْبَعَ فَالْتَفَتَ الْخَلِيفَةُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَكَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ وَقَالَ لَهَا بِصَوْتٍ رَفِيعٍ هَا قَدْ سَمِعْتَ مَا قَالَ الْإِمَامُ فَلِمَا سَمِعَ أَبُو
حَنِيفَةَ ذَلِكَ مِنْهُ اسْتَدْرَكَ وَقَالَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَبِي جَعْفَرٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرَ
مِنْ وَاحِدٍ فَقَالَ وَمَاذَا قَالَ الْإِمَامُ لِأَنَّكَ لَمَّا التَفْتَ إِلَى زَوْجَتِكَ وَكَلِمَتُهَا رَأَيْتَ
مِنْ صَوْتِكَ مَا عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّكَ أَنْ تَعْدَلَ مَعَهَا وَلِهَذَا أَحْكَمَ الْآنَ بَانَ تَقْتَصِرُ
عَلَى مَعَاشِرَتِهَا . وَلَمْ أَقِفْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ كَانَ الْخَلِيفَةُ إِطَاعَ حَكْمَ الْإِمَامِ وَحَالَةَ
أَبِي جَعْفَرٍ هِيَ حَالَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ يَمِيلُ إِلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الزَّوْجَاتِ إِذَا الْوَاقِعَ عَدَمَ
الْمُقَدَّرَةَ عَلَى الْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ وَلِذَلِكَ فَمِنَ النَّادِرِ أَنْ تَعْرُضَ هَذِهِ الْمَسْئَلَةَ عَلَى قَضَاةِ
الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ الْحَالُ كَذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَيْسَرَةِ الزَّوْجِ وَقُدْرَتِهِ أَنْ يَنْفِقَ
عَلَى أَكْثَرَ مِنْ زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ فَمِنَ اسْبَابِ عَدَمِ الْإِكْثَارِ مِنَ الزَّوْجَاتِ خَوْفُ
الرَّجُلِ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ بِالنَّفَقَةِ بِدُونِ تَوْسُطِ الْقَاضِي فَتَعَدَّدَ الزَّوْجَاتُ
فِي الشَّرْقِ مَعْدُودٌ مِنَ التَّكَثُّرِ وَهُوَ عَزِيزُ النِّوَالِ لِلْفُقَرَاءِ وَلَا يَتَمَتَّعُ بِهِ إِلَّا

الاعنياء حتى كان تعدد الزوجات في الشرق عند الاعنياء امر توجبه عليهم حيثياتهم بين الاءة كما كان ذلك حاصلًا عند قدماء الجرمانيز (راجع الملحق الخامس) ولما كان التفاوت في الدرجات امرًا مقبولًا عند المسلمين مع كمال الترضى وحسن الاعتقاد ترى الفقراء منهم يقفون عند نواهي القرآن في تعدد الزوجات كما يحترمونها في غيرها ولا يحسدون الاعنياء على زوجاتهم كما انهم لا يحسدونهم على بقية ما اختصهم الله به من المميزات وهم من جهة ثانية يعلمون جيدًا ما يلحق بذى الزوجات من المتاعب والاصاب وان نعيم العيش الوسط لذى امرأة واحدة ومع ذلك قد اخطأ موسيو (كاروز) حيث ذهب الى ان تعدد الزوجات يغتفر الاعنياء ويحرم على غيرهم بل الذي يفهمه المسلمون في القرآن عند الزواج هو ما كان يقوله القديس بولس (ما كل مباح ينبغي) والمسلمون لا يقدمون كثيرًا على استعمال ما اباحه شرعهم الديني من تعدد الزوجات خلافاً لما يتوهمه غيرهم لانهم يخشون ضيق العيش وفقدان الصحة فكثيرا ما تشكو النساء أزواجهن على هجرهن ثم المنازعات في كل يوم مما يجعل البيت جحيمًا. وللكتاب من العرب في هذا المعنى كلام يدل على عدم الميل لتعدد الزوجات كما نقلناه عن بعضهم في غير هذا الكتاب حيث قال (ايها الراكب على فرسين احذر من السقوط وكفاك من حب زوجتين وكفاك واحدة ان رمت السلامة) وقد يلاحظ ان القانون الذي لا يسوى بين الغنى والفقير في الزواج يخالف عاداتنا في هذه الايام ولكن من عرف طبائع المسلمين علم ان ذلك القانون لا يحدث بينهم ما يظهر لنا من نتائجه لو كان عندنا فقراء المسلمين مترضون عن حالتهم قانعون بما قسم الله لهم من

الميش جرياً على حكم الضرورة عن طيب نفس خلافا لما يتوهمه موسيو (دوبروجلي) وإنما القرآن يوصي المعدم بالانتظار فلا يتزوج غير قادر عليه (انظر المالحق السادس) ومع ذلك فالمعدم عن الزواج نادر والعامّة يتزوجون في الثامنة عشرة غالباً وأهل الشرق لا يعرفون العزوبية وهي المصيبة التي جلبها التمدن على الغربيين وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) في محادثته مع صحابته يحب أن يسمعهم كثيراً قوله . لا رهبانية في الإسلام . ثم قال لهم يوماً . نفس المتزوج أحب إلى الله من صلاة ستين اعزب .

ويرى القارىء مما تقدم ان الناس بالغوا كثيراً في مضار تعدد الزوجات عند المسلمين ان لم نقل ان ما نسبوه اليه من ذلك غير صحيح فما تعدد الزوجات هو الذي ولد في الشرق تلك الرذائل الفاضحة التي يشير اليها الاب . بروجلي . بل المقول انه من شأنه تلطيفها على اني لست ادري ان كانت تلك الرذائل اكثر منها في الغرب بل تلك وصمة الصقت بالاسلام بواسطة السواح الذين يرون أمرا في فرد فيجعلونه عاما من غير تثبت فيه ولولا هذا التميم السطحي لما وجدوا شيئاً يملأون به مؤلفاتهم والواقع ان الرذائل الفاضحة موجودة في كل أمة ولقد يقع منها في باريس ولوندره وبرلين أكثر مما يحدث في الشرق باجمعه لان النبي صلى الله عليه وسلم بالغ في تحريمها ولم يعدها من الذنوب الخفيفة كما فهم بعضهم من آية (واللذان يأتياها منك فاذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنها ان الله كان تواباً رحيماً) لان ذلك خروج بالآية عن معناها وشطط في تفسيرها وليست هذه الآية هي الوحيدة التي جاءت في القرآن بل كثير غيرها كما في سورة

الاعراف قال تعالى (ولوطاً اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوهم من قريبتكم انهم أناس يتطهرون) . هذا والشرع الاسلامي سواء كان أخذاً عن القرآن او السنة من أشد الشرائع صرامة في معاقبة هذا الفعل ففيه يقتل البالغان ان اتيا هذا الفعل معاً فان فسق بالغ بصبي يقتل الاول ويؤدب الثاني فان فعله صغيران جلد كل منهما مائة جلدة واما ما يتعوده المراهقون من الامر القبيح وكذلك فساد الاخلاق فما لا وجود له في الشرق الا بطريق الاستثناء لسهولة الزواج

ومن الخطاء الفاضح والذلو الفادح قولهم ان عقد الزواج عند المسلمين عبارة عن عقد تباع فيه المرأة فتصير شيئاً مملوكاً لزوجها لان ذلك العقد يحول للمرأة حقوقاً أدبية وحقوقاً مادية من شأنها اعلاء منزلتها في الهيئة الاجتماعية فلما ان تشترط على زوجها عدم التزوج بغيرها وعدم التسرى وان لا يغيب أياماً كثيرة عن بيته بدون اذنها وان لا يؤذيها ولا يسبها وأن لا يكلفها باعمال البيت الشاقة وهكذا فان لم يف بهذه الشروط جاز للمرأة ان تطلب الطلاق فان لم ترده لنفسها جاز لها ان تطلب منه على يد القاضي ان يطلق ضررتها أو ان يعتمق الجارية كي يبطل حق التسرى بها^(١) ولم يقتصر القرآن في التضييق على تعدد الزوجات على عدد من بل حرم ما كان معروفاً عند العرب قبله من الزواج لزمن محدود وفي ذلك

(١) في هذا نظر

شبه تحريم للطلاق لكونه لا يتأتى الا بشروط مخصوصة
ومع هذا كله فان تعدد الزوجات اوجب عدم اعظام الديانة الاسلامية
حتى ان المتورين من المسلمين أنفسهم شاعروا بهذا ولو كان لهم شيخ
و مؤتمر ديني (أريد سلطة قائمة على الدين لتوفق بين نصوصه وحاجات
الزمان) لاصبحنا في شك من بقاء اباحة تعدد الزوجات قال موسيو
(ريفيل) على اننا لو رجعنا الى زمن النبي (صلعم) ومكان ظهوره لما وجدنا
عملا يفيد النساء أكثر مما أتاه عليه السلام فهن مدينتا لنبيهن بأمر
كثيرة وفي القرآن آيات ساميات في حقوقهن وما يجب لهن على الرجال
فمنها ما يختص بتحريم مالا يجوز من اللذائذ معهن ومنها ما يوصى بالحشمة
والوقار في استعمال ما أباحه الله جاء (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين
أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتتموهن أجورهن محصنين غير
مسالحين ولا متخذى اخدان) (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) (قد أفلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة
فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون) وقد أخذ الصحابة عن النبي كثيراً من
الاورام المشددة التي تحرم الاسترسال مع الشهوات وعدم التمسك بقواعد
المصمة والكمال فلا يجوز للخاطب أن يرى من مخطوبته غير وجهها ويديها
ومن الجناح على المسلم أن يرفع بصره الى امرأة لا يريدان يتزوجا جاء في
الإنجيل (من نظر الى امرأة نظر شهوة فقد زنى بقلبه) ويقول المسلمون

(لزناء العين أشد حرمة من زناء الصدور) هذه أوامر عاصمة تسوى بين الجريمة وبين مجرد الشهوة وتحرم النظر الى زوجة الغير وليس من يعيها الا المسلمون لان نساءهم محتجبات عن العيون ويرى القارىء من جميع تلك الآيات مقدار اهتمام النبي بمنع عوامل الفساد الناشئة عن التمشق بين المسلمين لكي يجعل الأزواج والاباء في راحة ونعيم وربما كان الانجيل أكثر تدقيقاً وأكد في التشديد ولكنه لا يعمل به الا قوم خصهم الله بمواهب الكمال وهم قليلون اما البقية من الامة فليس لهم اخلاق أطهر من اخلاق الامم المتدنية بغير النصرانية لكن شريعة القرآن جاءت ملطفة وجمهور المسلمين يلاحظها ويجرى على مقتضاها وقد مارسوا النظافة والاعتناء بالصحة عملاً بما جاء في القرآن أوفى الحديث فكانت لهم من ذلك اخلاق مخصوصة بهم وتولدت في نفوسهم ملكات الحشمة والوقار وجاء هذا مغايراً لآداب الامم المتعدنة اليوم على خط مستقيم ومزيلة لما عساه كان يحدث عن ميل الشرقيين الى الشهوات لولا هذه التعاليم والفروض والفرق بين الحشمة عند المسلم وبينها عند المسيحي كما بين السماء والارض فالمسلم ينجرح نظره ويستحي من مرأى الاعلانات التي ينشرها الغربيون ومن راقصاتهم في لباس كأنهن به عراة ومن حفلات الرقص حيث النساء خالعات العذار كاشفات المناكب ومن جميع ملاحينا التي لا تمتاز عن بعضها الابرة ما يستر وجه الحياء . رأيت ذات يوم في سراي الوزير المصطفى بالجزائر قوماً من الشيوخ رؤساء القبائل اجابوا الدعوة ليزدان المكان بوجودهم وهم من اقاصى الصحراء حيث صفاء الاخلاق

وطهارة العادات عليهم البرانس وعلام الغزة والوقار تملو جباههم ينظرون الى المسيحيات رائحات غاديات وهن عراة الصدور تحت ذراع من يتقدم لهن من الرجال وقلوبهم مليء من الاحتقار ومن كان من بين أولئك الشيوخ غير متمسك تماماً بجميع العوائد القومية كانوا يتخيلون بانهم لا يشاهدون حالة اعتادها الافرنج لترويج النفس بل ينظرون الى مجتمع انطلقت فيه الشهوات ورفع فيه برقع الحياء عن الوجود فاستباح كل واحد ما اراد كما يقع ذلك مرة في كل سنة عند الزنوج او بعض قبائل الهمج حيث يأتي الاسافل من الامة مثل تلك الفعالم ولكنهم عند وقوع نظرهم بين الجمع على رؤساء المصالح الذين هم اصحاب الامرة عليهم كانوا يرجعون من وهمهم ويعلمون ان ما يشاهدون من المناظر حقيقة اعتاد اولئك القوم عليها . هنالك يجول بخواطيرهم تعاليم شرعهم ويمظم شأن القرآن في قلوبهم عند ما تقترن آدابه بالمشهد المخجل الذي هم فيه (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ولا يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آباءهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربعة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون) يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) وقلم

تستبيح امرأة غير شابة ان تكون بلباس أقل من ذلك حشمة وكالا
 (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن
 ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم) ولقد
 اطلنا الشرح نخرجنا عن الموضوع وشرحنا اخلاق المسلمين ذلك لأننا
 نعتقد ان ما قدمناه برهان قاطع على ان تعدد الزوجات لم يتخذ ولم يكن ليتخذ
 مشجعاً على انتشار ديانة الاسلام وبقي علينا ان ننظر ان كان النبي اتخذ لذائد
 الجنات التي وعد بها الشهوات سلماً لاسمالة بنى آدم وحملهم على اعتناق ديانته



الفصل الرابع

جنات المسلمين

الحياة الآخرة - السعادة الاخروية في مذهب المسيحيين -
 الرمز والتفسير - السعادة الاخروية في مذهب المسلمين

ليس للحياة الآخرة من المكانة في بعض الديانات القائلة بخلود الارواح
 ما لها في البعض الآخر فالديانة المسيحية تشير الى انها هي المقصد الاسمي
 من الحياة الدنيا ولذلك يجب ان يعتقد المرء بان لذائد هذه الدار وزخارفها
 خيال باطل وان يتجرد عن نفسه كي تطهر روحه فيتقدم رويداً رويداً في
 الحياة العقلية لينال بها السعادة العظمى ومع تكرار هذه الحقائق ونشرها
 بواسطة القائلين بامر هذا الدين لا يزال أغلب المسيحيين يراها تصورات

ذهنية كإلية بها تجتهد الكنيسة ان ترفع ما انحط من طبائعهم ومن هنا يشاهد المتأمل فرقا عظيما بين التعاليم والاعمال كما تتناقض الاقوال والافعال كثيراً عند المسيحيين ويرى الكثير منهم في ضميره وان لم يجاهر به ان في ديانتهم قسما من التخيلات لاتسمو اليه مداركهم ولا يصبو اليه الا من اختصه الله بالمواهب الصمدانية ويحسبون انهم أدوا واجباتهم باصغائهم الى تلك الحكم البالغة واعتقادهم انها من ديانتهم وانهم يرجعون اليها عند الحاجة لبيان مقامها الرفيع ومكاتها العليا، كذا هم يعملون في قاعدة (انما الحياة الدنيا طريق الآخرة) على ان سعادة الاصفياء سر من الاسرار التي تخفى على المسيحيين وهو غريب لان سعادة الآخرة هي المرجع الذي كان يجب ان ترمى اليه اعمالنا كلها ولكن مع الاسف نرى العقول لاتكاد تدرك من هذا المقصد الاسمي شيئاً ومما يزيد الامر تعقيداً واشكالا مذهب بعثة الاجسام على الكيفية التي يذهبون اليها فانهم يقولون ان الاجسام تتحول يوم الحشر من اجسام مادية الى اجسام روحية . قال القديس بولس خلق الجسد من مادة تزول وسيبث على كيفية لاتقبل الانحلال لانه خلق جسداً حيوانياً وسيبث جسداً روحياً وماذا ياترى تكون حقيقة تلك الاجساد الروحية التي لاتزال اجساماً فلها حواس وهي ارواح فتتمكن من مشاهدة ربها . فهل السعادة التي يمدنا بها القسس والرهبان هي تصور تلك السعادة أم هي سعادة حقيقية تقوم بغير التصور والتخيلات تلك مسائل ليس في الانجيل ولا التوراة نص صريح يفسرها وان اجتهد الكنائسيون في ايضاح طرف منها واهمهم في البحث هو القديس

(أوغستان) فانه كان شديد الولع بمعرفة تلك السعادة وغاية ما وصل اليه انه لم يبلغ حد اليأس في تفسير هذا السر المكنون بمعونة الله وقدرته وجميع كتبه دالة على شدة شغفاله بتلك الحياة الادبية السعيدة التي يتصورها الاولياء، فيشاهدون ربهم بتخيلها قبل البعث وبعده وعلى كل حال فلا تزال تلك السعادة سرّاً مختوماً لا يعرفه الناس ولا يدركه الا الاولياء.

ومن هنا وقعت الديانة المسيحية بين مذهبين متناقضين فمن قائل بان السعادة الاخروية انما هي حالة نفسية مرجعها طهارة القلب والمشابهة بين المخلوق والخالق ومنهم من يقول بل هي غير ذلك أمر مادي محسوس والف (سيرانتي) كتابا كله بدع غا.ض المعنى مبهم المراد جاء فيه ان السعادة الأخروية عبارة عن اعراس تتعاقب أثر بعضها وقال المجدوب (شريد نبورج) رئيس مذهب كنيسة أورشليم الجديد في القرن الماضي ان لجميع اللذائد الدنيوية نظائر في الآخرة ويظن بذلك انه توصل الى حل الاشكال واعرب عن مصير الناس ولاكن جاء كتابه بعبارة مستهجنة سخيفة فلم ينل من قرانه التفاتاً حتى بصفته اعجوبة أو خرافاً .

وأما الاسلام فلم ينظر الى الآخرة نظر الدين المسيحي ونرى المسلمين ينتظرون ما وعدهم به النبي من النعم والسعادة وقلوبهم مطمئنة ولم يضحوا الدنيا للآخرة أما اعميم الآخرة فالمتكلمون من أهل السنة يقولون بانه حالة تقوم بالنفس فتجعلها من السعداء، وأما مشاهدة الذات العملية فان النبي ضرب لها امثالا حسنة قريبة المنال من مدارك الشرقيين ولولا ذلك لما عقلوها البعد طبائهم عن ادراك الامور المعنوية المحضة اذ الغريبيون انفسهم لم يدركوا

ذلك الامر المعنوى على ان رسولهم قد كلفهم امراً جلالاً اذ حرم عليهم ان يفكروا في تشبيه الخالق بالمخلوق وحرّم عليهم تصوير المخلوقات الحية ولولا ذلك للزمه ان يطلب من عقولهم ما لا قبل لهم به فيكفهم بادراك اللذائذ الذهنية المحضّة أو أنه يرجع بهم الى مذهب تجسم الاله وما يتبعه من الاوهام فيتصور لهم ربهم بصورة انسان جالس من حوله الاولياء والاصفياء ولكن صناعة الرمز والاشارة سهلت له الاستعلاء على هذه المشكلات (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلاً يضل به كثير او يهدى به كثير أو ما يضل به الا الفاسقين) ولورجعنا الى القرآن لتتلو الآيات التي نزلت في بيان سعادة الاخيار في تلك الدار لوجدناها في اول الامر تصف جنات عاليات قطوفها دانية كأنها الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء التي توجد في هذه الحياة الدنيا وعلمنا بان تلك الاوصاف كانت من أكبر المؤثرات في نفوس العرب المنزلة عليهم . وفي الواقع انه ليلذ الى البدوى الذي تعود ارضاً قحلاء وماء آسنار ربما لا يجده ايضاً طول يومه ان يتصور بان سعادته النهائية هي الراحة في جنة خضراء ودوحة فيحاء تسقى بماء كوثرى وفيها من كل فاكهة لذة للاكلين ولن يدوق لمثل هذا الوصف معنى الا من عاش في البادية وكابد الحياة في الصحراء وهذا هو السبب في ان النبي (صلعم) كان يأتي بمثل ذلك حيناً بعد حين وهو تكرر ربما تعبت منه عقول الغربيين لعدم تعودها عليه ولكنه كان يفعل كثيراً في نفوس سامعيه من أمة العرب اذ هو في الواقع

أسلوب في الخطاب له منزلة رفيعة عندهم ولا يزال يشيعواظفهم ويحرك نفوسهم على بساطتها وسهولة موردها كما شاهدت ذلك بنفسى ولقد الذ اذا تخيل النبي واقفا تحت شمس البادية حيث لا ظل يقى من حرها ويخطب في القوم موصفا ظلال الجنة الوارفة التى وعد الله بها المتقين وأشاهد الجمع هائما من حوله مأخوذاً بحلاوة الخطاب لذى يلقى بصوت يزداد وقعا في القلوب (وامن خاف مقام ربه جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباى آلاء ربكما تكذبان) وكان كلما قال آية زاد وجد السامع بما تزيده في وصف الجنة من الطلاوة والتمكين . واقدم جرى الشرقيون على عدم التفريق بين جنة الاخيار وجنة الدنيا لذلك اعجبهم ذلك الوصف فاخذ بجماع لهم لمطابقته اذواقهم واشتغل بها عقلمهم وان لم يرد النبي بها وصف السعادة الباقية في الواقع ونفس الامر وعلى هذا النمط جاء وصف اللذائذ السماوية وهو ايضا مأخوذ مما كانت العرب تميل اليه في هذه الدار (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) وزوجناهم بحور عين (فيهن خيرات حسان فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباى آلاء ربكما تكذبان لم يطمهن انس قبلهم ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فباى آلاء ربكما تكذبان) (فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون

في جنات النعيم ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخمدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون (انا أنشأناهن أنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين) (ان للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً) تلك اشارات واستعارات ليس الامر المادى فيها الا رمزاً للعشق الروحانى وهو ضرب من ضروب الكتابة والقول معهود عند الأمم الشرقية وفي الزبور شئ كثير من ذلك وكأن الكتب المقدسة استعارت الحب الانسانى وقوة تأثيره فى النفوس لتشبه به للناس نعيم الآخرة وهو أمر طبيعى لان اجتماع النوعين الذكر والانثى يشخص فى نفوسنا نحن الغربيين صورة السعادة الابدية فالذوق الغربى لا ينفر من هذه التشابيه والاستعارات على شرط ان لا يتوسع فيها الى التصريح المطلق ولكن ذوق الشرق لا يطب هذه القيود وينبغى له ان يكون التشبيه تاماً فلا يفقل احد لوازمه ولا يهيم طرف من متماته وهذه وسيلة يتوصل بها الى تمكين العقول المادية من تصور الادبيات المحضة وكان هذا الاسلوب مقبولاً جداً فى القرون الوسطى فقد احتوت قصة الورد لمؤلفها (غليوم لوريس) على أربعة آلاف بيت كلها صور واستعارات وتشابيه وقد ذهب بعض الباحثين الاتقياء الى ان تلك الوردة التى ولع المؤلف بحبها هى الذات الالهية لاذات المرأة المحبوبة . ومع كون الكتاب صريح فى الاشارة الى الماديات فقد عدوه سفرأ دينياً وليس هنا

موضع البحث في صحة هذا التفسير لقصة الوردية وانما غايتنا ان نستخلص مما تقدم عدم المانع في اعتبار مؤلفات الشرقيين قابلة لتفسير أدبي وان دل ظاهرها على ان المقصود منها أمور مادية فالعبرانيون والعرب من بعدهم استروا وبستار اللذائذ المادية والنعيم البدني وهم انما قصدوا الادبيات والسعادة الروحانية وفي عملهم هذا تما كس في الالفاظ واشارات للمراد أو مفارقات ووافقات تلذ لها عقولهم ولهذا لايسعنى ان أرى في نشيد بعضهم (لعليها تقبلنى بفمها) اشارة الى واقعة مع امرأة كذلك ألقاظ العشق وعبارات الوجد والهيام المنشورة في المزامير لاتنقص من قيمة هذا الكتاب المقدس وكونه كتاباً رمزياً نعم ان تقرب بعض العباد المخلصين من الله كان أمراً بعيداً عن عقول العبرانيين الاولين والعرب الاولين والشرقيين على العموم ولكن ليس المراد هنا معرفة الوصلة والزلفى لدى الله لان ذلك يستلزم معرفة حقيقة تلك الاناشيد وهذه التشابيه وانما الغرض بيان انها رمز لاحقيقة وقد اعترف مؤرخ اللغات الشرقية وهو موسيو (رونان) بصحة قولنا وبأن عقول العرب والعبرانيين مطبوعة على استعمال التشابيه والاستعارات والاكثر من المجازيات في الالفاظ

ومتى سامنا بان المقصود من المزامير شىء آخر غير ما يعطيه ظاهر لفظها فلا يجوز حينئذ تفسيرها تفسيراً لفظياً لزمنا أن ننحو هذا النحو بعينه في فهم الآيات القرآنية التي جاءتنا بوصف الجنان نعم يصعب علينا ان نرى خلف هذه الصور المادية الصرفة مرامى أدبية الا ان هذه الصعوبة آتية من مخالفة هذا الاستعمال لما تمودناه في أقوالنا وكتبنا ومن السهل جداً أن

يرى الواحد خلفاً بينه وبين آخر من غير امته في طرق التفاهم والحديث
فالذي يجب أن يشار إليه بلطف ورقة عندنا يبرزه الشرقي في صورة حقيقية
فلا يدعون لعقولنا محلاً لإبصاره من خلال ألسنتهم

ولقد يتعذر علينا أن نعرف أى المعنيين ينطبع في قلب المؤمن عند
تلاوة القرآن معناه اللفظي أو معناه الحقيقي ويحتمل أن ذوى العقول الضعيفة
منهم لا يفقهون غير ما يدل عليه اللفظ بظاهره وأما الآخرون فيرون فيه
معنى يميل بهم الى مرامى سامية يدوقون فيها حلاوة الزلفى بين العبد وخالقه
والكثير منهم يسمعون القرآن فلا يعتقدون بظواهر كلماته ويشعرون بأنه
يرمى الى سعادة مخصوصة يتصورونها على كيفية غير واضحة لهم تماماً على
أن في القرآن نفسه آيات كثيرة جاءت في السعادة الاخرى وخالية من التشبيه
والاستعارات . فلا يقول بان المسلمين لا يعرفون سعادة ولا نعيماً مما وعدهم
به القرآن غير ما كان مادياً شهوياً الا من غفل عن تلك الآيات ومال الى
تغيير أصل الكتاب وقلب الحقائق التي ثبتت فيه (وعده الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في
جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال المفسرون في رضوان الله ان الله يتجلى على عباده المصطفين
فتكمل سعادتهم ويتم بذلك نعيمهم وجاء (دعواهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) (والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون
بالحسنه السيئة أولئك لهم عقبى الدار) (زين للناس حب الشهوات من النساء

والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)

على ان الكتاب نفسه لم يترك مجالاً لمعارض فنهى عن تفسير آياته
تفسيراً لفظياً أو تجسيم التشبيه بما لا يحتمله المقام فقال في سورة آل عمران
(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر
متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آما به كل من عند
ربنا وما يذكر الا أولو الالباب) (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)

وقد اتفق المتكلمون من المسلمين الذين اشتغلوا بتفسير القرآن
خصوصاً أهل السنة الذين يرجعون فى تفسيرهم الى الاحاديث النبوية والافعال
المأثورة عن السلف ويلاحظون أسباب النزول على ان السعادة الاخرية
انما هى أمر ذهنى يقوم بالنفس فتصير منعمة مطمئنة وهذا النعيم هو أكبر
النعيم فلا نعيم بعده قال الشيخ العالم (رب ان الجنة لا ترجى الا لرؤياك فيها
ولولا نور ذاتك البهية لعفناها) وانى اختم هذا الفصل بدعاء مأثور عن
الشيخ القشيري واعمله لا يذرى ببعض كتب الدعاء المسيحية (إلهى انك
تهددنى بفراق يحرمنى على الدوام من تجلياتك البهية فيارب اصنع بى ما
تشاء ولا تحرمنى من مشاهدتك العلية فليس سم أمر مذقاً وأشد قتلاً من
ألم هذا الافتراق وما حيلة النفس بغير ربها الا أن تعيش فى فزع وتبقى فى

حيرة واضطراب رب ان النفس لترضى بان تذوق الموت مائة ألف مرة
ولا تذوق حرقة فرقتك مرة واحدة رب ان مصائب الدهر وجميع الامراض
القتالة لو اجتمعت على لا احتملتها غير متوجع من وقعها وليكن لا طاقة لي
على احتمال بمدك عنى رب لو احتجبت عنا برهة اقبلت أرضنا وفاضت
أنهارنا فاذا يكون حالنا لو دام هذا الاحتجاب لولاه لما احترقت نار الجحيم
واشد لهيبها رب ان في تجليك حياتنا وكمال سعدنا ونعيمنا وفي احتجابك
عذابنا وجحيمنا)

الفصل الخامس

﴿ القضاء والقدر ﴾

متشابهات القرآن ومذهب الناسخ والمنسوخ — الاختيار والقضاء
والقدر في القرآن والحديث — مذهب (توماس)
ومذهب (مولينا) — الجبرية والقدرية

يثبت الناس كل مبحث بالقرآن اذ من السهل جداً ان يجد فيه
الباحثون سنداً لدعاويهم المتناقضة والقرآن في هذا لا يختلف عن غيره من
الكتب المقدسة التي تستوقف المطالع بظواهر متشابهاتها والقرآن على
مذهب اهل السنة قديم مرقوم من الازل في اللوح المحفوظ ونزل به الملك
جبريل (عليه السلام) في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان وهي ليلة

القدر من السماء السابعة الى السماء الرابعة

ثم نزل على النبي في الارض مفرقا في مدى الثلاثة وعشرين سنة وهي مدة الرسالة ونرى انه لا يجب الاخذ بهذه الرواية الا في أمر واحد هو ان الست آلاف آية التي يتألف القرآن منها نزلت تباعا بعضها اثر بعض على غير تساوي في العدد كل مرة وفي ظروف مختلفة عن بعضها كثيرا بحيث تلزم معرفتها حتى يتمكن الباحث من النظر في التشابهات منها وبينما الانجيل يقص على الناس جميع أدوار حياة رسوله وتعاليمه بعبارة وافية سهلت على المسيحيين من مبداء أمرهم ان يتناقضوا خلفا عن سلف ترى القرآن لا يأتي على شيء من ذلك غير انه كلام الله لنبيه وان سورة كذا مكية وسورة كذا مدنية وهو تقسيم اختياري ادخل عند جمع الكتاب وليس فيه شرح او حديث يساعد على معرفة الوقائع والظروف التي استنزلت سورته وآياته وهذا هو أحد الاسباب التي تحمل على القول بان في القرآن اختلافاً وهناك سبب اخر مقبول ذلك ان الوحي كان ينزل على النبي بحسب حالة الافكار وتحوّلها الديني بسبب رسالته فكانت الآيات تنزل كما تقتضيه تلك الحال وكان من اللازم طبعاً حصول التعديل في اللاحق منها حتى يلائم المقام فالحكم الذي يوحى به لرد شبهة ظهرت تخالف ذلك الدين الجديد لا يمكن ان يبقى كما نزل بعد تبدل الأحوال وزوال السبب من الافكار وليس من ينكر على الطبيب تنويع الادواء بحسب أدوار المرض وتقلباته وعلماء الاسلام يردون طعن المنهدين في هذا الموضوع بمذهب الناسخ والمنسوخ فيقولون ان الله انزل أحكاماً في القرآن ثم نسخها بغيرها لاسباب

حكمة عالية

وتنقسم تشابهات القرآن الى قسمين فمنها ما هو ظاهري فقط يسهل التوفيق بين قضاياه ومنها ما خفي سببه أو تعسر فهمه خصوصاً فيما يتعلق بالقدر المحتوم ولذلك تشجذت افهام العلماء في الكلام عليه وما جاء في القرآن متملقاً بهذا الموضوع قليل في جانب ماورد في الاحاديث الشريفة وهي مجلدات كبيرة جاءت بجانب القرآن كالقوانين الكنائسية وحكمها يكاد ان يكون كحكم تلك القوانين ولكنها ليست عند المسلمين في درجة القرآن اعتباراً وقد اعتنى الجامعون كثيراً في جمعها ولكنه حصل بعد النبي بمائتي سنة تقريباً ولذلك لا يمكن للباحث ان يثق بصحتها وثوقه بصحة القرآن نفسه فلا يبعد ان بعض المتكلمين اضافوا آراهم الى النبي وان كثيراً من الاحاديث المنسوبة اليه موضوعة لم تصدر عنه

ومن ذلك سهل على بعضهم ان يستنتج من بعض آيات القرآن ومن كثير من الاحاديث على الخصوص بان الاستسلام للقضاء والقدر اس من اساسات الدين الاسلامي وركن من اركان الاعتقاد بانه لا اختيار للمرء في افعاله ولكني ارى من السهل أيضاً ان يجد الباحث في القرآن والحديث سنداً في القول بان الدين المحمدي لا ينافي الاختيار في الانسان على انه من المسائل التي جاءت في الكتب المقدسة مالا تزال تحت نظر المتكلمين وهم الى اليوم لم يهتدوا الى حلها ومسألة التوفيق بين قدرة الخالق وارادته في كل شيء وبين الاختيار في الانسان مسألة يشترك فيها المسلمون والنصارى والخلاف فيها عند كل فريق لا يزال قائماً حتى الآن

وصف النبي ربه بأنه العالم بكل شيء ثم وصفه بأنه علام الغيوب وهذا الوصف الاخير جزء من الاول وقدرة الذات الالهية واستخلص من ذلك تبعية المخلوق وقال ان الله هو السبب الاعظم الاولى في كل شيء فارجع اليه جميع اعمالنا لذلك جاء في غير موضع من القرآن (وهو القاهر فوق عباده) عالم الغيب والشهادة (قل كل من عند الله) وكلها حقائق دارت عليها أبحاث المختلفة والنقيض على ما يقولون وهو الاختيار في الانسان مؤيد أيضا في مواضع كثيرة من الكتاب فقد عمد المشتغلون بالتفسير واحداً وخمسين آية كلها في اثبات ذلك الاختيار يضاف اليها ثلاث عشرة آية تختص بمسئولية الانسان عن فعله وكان من المتمني ان يأتي النبي بما يوفق بين هذين الامرين على ان غيره من الكتب المقدسة لم يتعرض لذلك ولم يأت اجتهاد العلماء في التوفيق بين هاتين الحقيقتين بفائدة غير توسيع الخلف او وضع الخلط والتعسف موضع سر لم اتصل اليه الافهام وقد اترف بذلك (بوسويه) في كتابة (الاختيار) حيث يقول ان الحق لا يهدم الحق وتمذر جمعهما على الافهام لا يستلزم عدم الاعتقاد بصحة كل واحد منهما فمن المستحيل نفي الاختيار لثبوت القدرة الالهية ولا نفي القدرة الالهية لوجود الاختيار في الانسان لانهما حقيقتان لا شك فيهما وكان يرى ان هذه المسئلة مما لا تطيقه افهام النوع البشرى وكان يوصى من يقترب منها (بان يتمسك بطرفي السلسلة جهده وان لم يقف على وسطها حيث يرى كيفية الاتصال بينهما) وهذان الطرفان اللذان لا ينبغي افلات احدهما القدرة الربانية والحرية الانسانية أي الاختيار والوسط

الخلق علينا هو التوفيق بينهما فلسنا نعرف صنع الله الذي به يحفظ على المرء اختياره ولا كيف ان السبب الكلي القديم لا يعدم السبب الثانوي الحديث قال (بوسويه) (ذلك امر يعلمه الله فلا شأن لنا فيه ولا يضرنا بقاء السر مكتوماً لديه (سبحانه وتعالى) وهذا هو مذهب المسلمين الحقيقي في الموضوع فان سألهم كيف يجمعون بين قدرة الله والاختيار اجابوك من فورهم ذلك علمه عند الله كما قال (بوسويه) او قالوا ليس لاحد ان يبحث فيما يريد الله والله ان يسأل عبيده عما يريد كما قال شيخهم البركاوي وجاء في القرآن (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)

ومن هنا يتبين لك مقدار اعتقاد المسلمين في القضاء والقدر وانما ترجع التبعية في مذهب الاستسلام لبعض المتكلمين من علماء الاسلام دون البقية وهم الذين نفوا الاختيار حتى لا يعارضوا به قدرة الله وتفرده في الوجود ومنهم من رأى حل الاشكال في عكس ذلك وهم احزاب الاختيار فينما الجبرية يقولون ان كل عمل للانسان صادر عن الله يقول القدرية ان المرء يخلق اعماله بنفسه ولا شك ان مارواه (بالجراف) اثناء طمعه على مذهب القضاء والقدر عن النبي حديث لاجد الجبرية مذسوب للرسول ولم يكن من كلام النبي وهو (لما اراد الله ان يخلق الانسان تناول بيديه الطينة التي تكون منها وقسمها الى قسمين متساويين وقال هذا للجنة ولا ابالي وهذا للنار ولا ابالي ولذلك اشتد (بالجراف) على الاسلام كغيره من مستشرقى الانكليز ورماه بانه دين عباد القوة حيث ان الهمم اله بيده جميع الاعمال اختصاصاً واستثنائاً)

ونحن نسلم انه قد يتأتى ان عالما من علماء التوحيد المسلمين يحكم بان
 النعيم أو الجحيم مقدران أزلا بناء على رواية سندها غير مجمع على صحته
 ولكننا لانسلم مطلقاً ان ينحو هذا النحو علماء البحث في حقائق الامور
 والتنقيب في اصولها ولذلك يسئل علينا ان نقبل من (بالجراف) قوله بان
 دين الاسلام يرجع كل شئ الى قدرة الخالق ولا تقبل مذهب الجبرية
 على ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يكن من عباد القوة لكونه رأى في
 الله السبب الاولى في كل شئ وسنبين ان مذهبه مقول به من فريق رفيع
 الكلمة بين علماء الكلام المسيحيين الذين لم يطعن على رأيهم ولم يتعرض
 أحد من الباحثين للقدح في مذهبهم وليس الاسلام من الديانات التي
 ترجع كل شئ الى القوة بل هو أول دين ميز بين الخلق والخالق على نحو
 واضح بقول صريح فما أبعد الاعتقاد بالوهية الطبيعية عن شرع محمد عليه
 السلام فهو الذي اخرج عن الالوهية ما ليس منها وبعيد عليه بعد ذلك ان
 يقول بان الله انما هو كل شئ ومن جهة ثانية لورجمنا الى طبيعة افكار
 الشرقيين لرأيانها لاتلائم مذهب الطبيعيين وانما دب فيهم هذا الفكر
 من الاعجاب الذين اكثروا من السفسطة في الاسلام حتى مالوا به
 الى الطبيعة

ونقل (سالس) عن البخارى حديثاً يؤخذ منه ما يدل على تقرير
 مذهب النعيم ازلا عند المسلمين ولا يخفى ان البخارى كان من الجبرية
 القائلين بان الله يخلق في المرء أعماله كلها فالانسان غير مختار وهذا ما نقله
 (سالس) (تقابل موسى مع آدم أمام العرش فقال موسى أنت آدم الذي

خلقتك الله وبمث فيك الروح وأمر الملائكة أن يعبدوك واسكنك الجنة ثم حرّمها على الناس بخطيئتك فقال آدم وأنت موسى الذي اختاره الله رسوله واثمنتك على أوامره فانزل عليك الألواح بشرعه ووهبك مناجاته العلم كم من الأعوام كتبت الشريعة قبل أن أخلق في الوجود فقال موسى أربعين فقال آدم أو ما قرأت فيها (فمضى آدم ربه وغوى) فاجابه موسى نعم فقال له آدم اتقدم على ملامتي لأني فعلت ما كتب الله انى فاعله قبل ان يخلقنى بأربعين سنة بل قبل ان يخلق الله السموات والارض بخمسين (الف عام)

ولو اننا علمنا لمن النصر منهما أمام العرش لحكمنا بوجود الاختيار فى الانسان من عدمه قال البخارى وقد سأل الناس النبى كثيراً عن المنتصر منهما فانهى بان قال انه كان لآدم عليه السلام وهو حكم بتأييد قول بلا توضيح تراه موضوعاً اخترعه أحد الجبرية تأييداً لمذهبه ولذلك ذهب أحد أحزاب الاختيار الى ان الحق كان بيد موسى وقال ان النبى اجاب بان النصر كان لموسى ولا يؤخذ من هذين الحديثين سوى ان المسئلة كانت موضوع نظر الطرفين بين الانصار انفسهم وهو الواقع لان لدينا من الوقائع والاحوال ما يدلنا على انه صلى الله عليه وسلم ما كان يجب الخوض فيها فكان يشتمن من سؤاله عن ذلك ويميل فى محادثاته الخصوصية عن تفسير ما انبهم مما نزل به الوحي عليه (اذا جاء ذكر القدر فامسكوا)

ومما تقدم يتبين انه يجب الافلاع عن اتهام ابى الاسلام بمذهب الجبرية وان من التطرف القاء هذا الجرم على عاتق المتكلمين من المسلمين

لما قد بيناه من ان نصحهم على خلاف هذا المذهب وقد قال (رولان) ان
 الفريقين لم يوضحا رأيهما تماماً ولذلك تناقضت اقوالهما كما تناقضت اقوال
 غيرهم وفي الواقع نرى هذا التناقض بعينه عند المتكلمين من المسيحيين
 ومن تمام الفائدة ان نأتى هنا بالايجاز على ما قاله المسيحيون في اعمال
 المرء وتأثير الارادة الالهية فيها فهم منقسمون منذ قرون عديدة الى فريقين
 عظيمين لكل منهما شيعة ذات شأن خطير وهما فريق (لو ايولا) وفريق
 (دومينيك) ولا يزال الخصام محتدماً بين الطائفتين وكل يزيد في الخلف بما أودع
 فيه من حب التعصب لشيئته فهؤلاء يذهبون الى ما يقرب من مذهب الجبرية
 وأولئك يقولون بالاختيار في الانسان وكل متمسك برأى قومه تمسكا
 ماعليه من مزيد والفريقان يملان على تمجيد الخالق جل شأنه مع المحافظة
 على مذهب شيئته وعدم الخروج عن طغمته

فاما اصحاب (دومينيك) فقد اتسبوا الى (توماس) فليل لهم توميون
 وهو عنوان له وقع في النفوس ومنزلة في الافكار وسلطة في المناشآت اذ
 يتردد الناس كثيراً في مراضة رأى سدده ملك المذهب (هو القديس
 توماس المذكور سعى بذلك لبعده صيته وعلو كلمته بينهم) ومع كونه عنوانا
 رفيع الشأن فان من اتحلوه عادة ليسوا على استحقاق به فادعى احزاب
 (جامنسانيوس) الهولندي صاحب مذهب القضاء والقدر الذي حرمه
 البابا (ليون) العاشر انهم من اتباع القديس توماس المذكور ولا يعترف
 اليسوعيين لفريق (دومينيك) بالتبعية اليه لان مذهبهم يميل الى القضاء
 والقدر ولم يكن توماس من هذا الرأى في اعتقادهم بل أصل المذهب رجل

اندلسى يقال له (بانيس) كان يدرس علم الكلام فى سـلمنك فى أواخر القرن السادس عشر ولذلك ينسب اليسوعيون مذهب دومينيك الى هذا الرجل ولكننا سنبتى للمذهب اسم توما لا ادعاء انه الحق وان لنا من الدرجة ما يخولنا ان نأتى بفصل الخطاب فى مثل هذا الجدل ولكن لانه أسم قرره التاريخ فصار معروفا حتى ان المتكلمين من الوعاظ يؤيدون نسبتهم اليه بتغاليهم فى الاعجاب به وتمصبهم لذلك الرئيس الذى كان به مجدعشيرته ولقد ذهب بهم التعصب حتى ادخلوا فى تعاليمهم ان ماتقل عنه انما هو أمر مةـسـس وحرموا على الخلف الخروج عنه وجعلوه صادرا عن معصوم لا يخطأ وفرضوا على المرئدين فى مذهبهم يمينا ان يقبلوا كل ما جاء عنه قضية مسلمة بغير جدال ولا مناقشة وما شبه هذا التحريم بما جاء فى القوانين الاساسية الفرنسويه حيث نصت (لا يجوز لاحد ان يطلب من الشورى المناقشة فى شكل الحكومة الجمهورية) بمعنى ان كون الحكومة جمهورية أمر يجب الازعان اليه مطلقاً ولو طلب من الكنيسة ان تفسر ما تناقض من مذهب هذا الرئيس خيف على الشيعة ان تنحل روابطها ولذلك تراهم يهربون من التفسير بما منعوا من نظر المجتهدين فقد كان احزاب (دومينيك) ومعهم قديسهم توماس قبل تقرير مذهبهم يقولون بان العذراء لم تكن معصومة فلما تقرر مذهبهم قالوا معه انها من المعصومات وهو تناقض يحرم النظر فيه كما قرروا اما شيعة اليسوعيين فغير مرتبطة فى تعاليم القديس توماس بهذا اليمين ولكنهم لا يريدون الجهر بمخالفته فى دفاعهم عن الاختيار بل يطنون على (ابانس) ويحاجون مذهبهم بمذهب مولينا وهو

يسوعى من البرتغال ولذلك اطلق عليهم عنوان (مولينين)
وكان الجدل عنيفاً بين الطائفتين فبدأ نحو السنة التسعين بعد
الاربعمائة والف من الميلاد ودام حتى نهاية القرن السابع عشر ولم تؤثر في
الحزبين أو امر الباباوات المتكررة بمنعهما عن المطاردة وها قد عاد الجدل فظهر
في هذه الايام وكان كل فريق يرمى خصمه في مبدأ النزاع بالبدع والمروق
فقام بانس امام الهيكل وحرم كتاب مولينا مدعياً أنه احتوى على مسائل
كلها بدع ترجع الى مذهب (بيلاج) وهو قس ظهر في القرن الخامس
انكر سبق القضاء بالجريمة التي ارتكبها آدم في الجنة وان كل خطيئة من
بعده نخطيئته السبب فيها ورد عليه مولينا فرماه بانه من شيعة (كلفان)
وهو العالم الشهير في القرن السادس عشر مؤسس مذهب البروتستانت
في الدين المسيحي فلما رفع الخلاف الى البابا تحير في أمره ولم يدرك بماذا يحكم
بين المتخاصمين وكانت قضية تشوق الافكار لمعرفتها ويجب كل باحث
في علم الكلام الوقوف على مفصلاتها وقد دامت مطروحة امام البابا
(كليمان) الثامن الى بولس الخامس وتداخل سفير اسبانيا معيناً لشيعة
توماس فلم يفلح بل قوى الخصام وعمد البابا بولس الخامس الى نصح
الفريقين باستعمال ما امر به الانجيل من المحاسنة ولين المعاملة فكان يقول
(مما لا ينبغي أبداً ان يتخاصم أولئك القسس خصام التحاقد والاستقتال
كالمتوحشين) وانتهى قاضى رومافلم يقرر بان الخطاء أصله خطيئة آدم ولكنه
لم يقض على أحد الفريقين بل اباح لكل نشر مذهبه وقال ان النزاع في
الدين غير معيب فان الله مع كل متدين والمذاهب تستنير ببعضها كما يجلي

الماس بالماس

و-ار اشباع توماس في مذهبهم شوطاً بعيداً حتى فاقوا مذهب الجبرية في الاسلام وكان (بانس) يقول (أن الله هو السبب في جميع الموجودات فليس من سبب سواه فكل مسبب هو سببه وهو المسيطر على كل شيء وليس لغيره سلطان عليه) وكان خلفاءه يجتهدون من بعده في التوفيق بين رأيه وبين الاختيار في الانسان فأضطرت اقوالهم واعجمت عباراتهم وقالوا ان كل عمل واجب وجائز معاً ثم فسروا بان الله هو الذي يبعث الارادة في الانسان ومعلوم ان الارادة مختارة فهي مسيرة حسب طبيعتها اعني حرة في عملها وهو غاية في الخلط ونهاية في الانحاض

وانتهى الجدل أخيراً بظهور مذهب جديد يقول بتأثير الله واختيار الانسان معاً وهو المذهب الذي مال اليه (بوسويه) لكونه لم ير أحسن منه في التوفيق بين الامرين ومبناه ان الله سبب اولي والانسان سبب ثانوي ولست اريد ان افسر مذهب مولينا غير اني أقول انه أوجد لفظين سهلا الكلام ان لم يكونا قد سهلا تفاهم هذا المعنى العظيم فكان العلماء قبله يصفون الفعل بكونه واجباً أي لا بد من وقوعه وجائزاً أي يحتمل الوقوع وعدمه مع اهمال المستحيل فاضاف هو لفظاً ثالثاً جعل معناه وسطاً بين الحالتين وقال منتظر^(١) وهو عنده الواجب المقيّد بشرط اذا تم وقوعه والا فلا وكان يسمى العلم بالمنتظر علماً وسطاً وبهذا يقدر تأثير القدرة الالهية في الافعال وخلاصة هذا المذهب تغليب الاختيار على القضاء والقدر رد المذهب توماس

(١) هو في علم التوحيد الممكن المشروط

وهو تغليب الثاني على الاول

هذا واذا رجعنا الى الاسلام وجدنا شبهة كبرى بين القدرية والموليين وبين الجبرية والتوماسيين وهؤلاء وهؤلاء عور كما قال عبد الرزاق فاما القدرية وهم احزاب الاختيار فانهم فاقدوا العين اليمنى وهى الاقوى التى بها يبصر السبب الاولى واما الجبرية وهم القائلون بالقضاء والقدر فقط فانهم فاقدوا العين اليسرى وهى اقل ابصاراً لكنها تبصر السبب الخارجى او الثانوى وعنده (ان الذى يرى الصواب هو الذى يستعمل الباصرتين من قلبه فيرى باليمنى مصادر العمل الاولى ويرجع الى الله جميع الافعال خيراً وشرها ثم يرى الناس باليسرى ويبصر تأثيرهم فى تلك الافعال بذاتها) وكان هذا الخلاف العظيم سبباً فى ايجاد الفاظ مخصوصة استعمالها المتناظرون الا انها لا تخلو من السفسطة فقالوا ان لكل عمل قضاء ولكل عمل قدراً بالقضاء يقرر الله كل شئ يكون والقدر هو تنفيذ الشئ المخصوص على النحو الذى تقرر بالقضاء، وبيانا لذلك جاء عبد الرزاق بالقصة الآتية (بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم سائراً فى الطريق يوماً اذ رأى جداراً يريد ان ينقض فقال عنه فقال له احدهم تريد ان تهرب من قضاء الله فاجابه انى اهرب من قضائه الى قدره)

وظهر مذهب ثالث اراد التوفيق بين الجبرية والقدرية ومن رأى اصحابه انه ليس من قضاء مطلق ولا من اختيار مطلق بل الحال وسط بينهما والفعل الواحد نتيجة اثرين احدهما الهى والثانى انسانى واشتقوا لهذا المعنى الوسط لفظاً مخصوصاً سموه الكسب الاختيارى وهذا الاشتقاق يعد كثيراً عند

اصحاب الجدل وقالوا ان الافعال تنبعث عن ارادة الله والمرء يكسبها باختياره
ووقفوا بين بعض الاحاديث المتناقضة لا يضعفوا من مذهب السنين بل
ليبينوا ان القضاء الازلي لا يزال سراً مجهولاً

ولما سئل النبي عن مصير صديقه ابي هريرة اجاب موجزاً (لقد جف
القلم بما قدر له) ومعناه ان مصير كل مخلوق مكتوب من الازل في اللوح
المحفوظ ولن تجده تبديلاً الا ان قوماً سألوه لم يعمل الناس فاجابهم (اعملوا
فان الله خالق في كل واحد منكم ما يقدر به ان يفعل ما خلق لاجله) وجوابه
هذا قريب من قول (هيرفليت) و (هيجل) من بعده من ان المرء خلق
بين اعمال كانت واعمال تكون

ويقرب مذهب عبد الرزاق كثير آمن مذهب (التوميين في هذه الايام
فالمذهبان يتفقان في ان الاختيار دخلا في كينونة الافعال وعلى ان ما قدر محتموم
من جهة وجائز من جهة اخرى وهي نتيجة لا تفهم وهو يقول ان القضاء
يتناول الفعل نفسه وكيف يقع والكيفية هي الاختيار الانساني وجاء
(بوسويه) بعده باجيال عديدة يفسر الموضوع بذاته كما فسر هو من
قبل فقال يعمل الانسان العمل مختاراً بقضاء الله الذي اراد ان يكون مختاراً
وهو معه في جميع ادوار الفعل حتى يكون وليس هذا كل ما يتشابه فيه
المسيحيون والمسلمون بل الحال واحد في امور كثيرة غير ما تقدم كالعدل
ومسؤولية العبد ومصدر الشر وايهاب السلامة من الله في الآخرة وهكذا
الى هنا امسك القلم عن الخوض في هذا الموضوع ولكن ليسمح لي
القارئ ان اذكر تشبيها لعبد الرزاق المار ذكره تأييداً لحجته فانه اراد ذات

يوم ان يبين لاحد طلابه سبب ان الرجل ذا النفس الدنيئة يفضل الشر على الخير مع علمه بافضلية الثاني على الاول فقال له ان مثله مثل الزنجي الاسود الذي يحب اولاده على قبيح خلقتهم ويفضلهم على ولد من ابناء الترك مع علمه بانه فوقهم في الجمال

ثبت والحالة هذه ان الاستسلام ليس من قواعد الاسلام بل هذا مذهب البعض من علماء المسلمين بدأوا كأمثالهم من المسيحيين بان يقرروا ان السبب الثانوى فى الافعال خاضع لتأثير السبب الاصلى ثم دفعتمهم حدة الخصام فتغالوا بما شذ عن المعقول وخرج عن الصواب ذلك لان المذاهب من شأنها ان يحتدم الجدل بين احزابها فلا يتمكن الهدوء من ان يسود فى المناظرات ولا يتحكم المعقول وحده فى المناقشات كما قال (رينبون) ثم قام اناس فنشروا تلك الاقوال المتطرفة سواء عند المسلمين او المسيحيين ولكنهم لم يؤثروا تأثيراً كبيراً كذلك يكون الحال فى كل آن ولن نجد لما فطر عليه المرء من الوجدان تبديلاً أما عقله فسيبقى فى البحث عن حل يرضيه لهذه المسئلة الغامضة فاجتماع ارادة الله وارادة المرء فى كينونة كل فعل من الافعال بحث عزيز المنال كما عز على العلماء عند المسيحيين ان يفقهوا معنى الرجل الالهى بشرط ان لا تتنفي احدهما بالآخرى أى الارادتين وهو مذهب غير مرضى عنه عند الموحدين بلا استثناء . قالوا قضاء وحكم ازلى وتأثير وميل واستعداد واجتماع وكلها الفاظ انما تدل على اجهاد الفكر فى استنباط المجهول ومهما اجتهدوا فى بحثهم فان الخطاء لازم لتفسيرهم كيفية تأثير القدرة الالهية فى افعال البشر لان نبراسهم الذى

يهديهم بشرى وان يصح ان يقاس الاله بالانسان فما اشبه عقل المرء على ضعفه في بحثه عن النسبة بين السببين الالهى والبشرى بميزان فاسد ان أخذنا من احدى كفتيه سيراً لنضيفه الى الثانية انخفضت احدى الكفتين على عجل تكاد ان تنقلب الثانية وهو دليل على فساد النظر بهذه الكيفية والحاصل ان علم الله وقدرته ان يزلا يظهر ان الافكارنا منافيين للاختيار فينا ونحن نشعر به حقيقة لامندوحة عن التصديق بوجوده وستتعاقب الفلاسفة ويقتلون ازماتهم في البحث والتنقيب عن امر لا يحصى عنه وليس من فائدة في حله اذ الحقيقة ومقابلها من المعانى المقبولة عند جميع الناس عالمهم وجاهلهم من دون تعب ولا اشمئزاز فالاختيار في الانسان مبدأ ادبى بديهي التصديق كما قال (كانط) فهو بعيد عن مناقشات الباحثين ولا تاثير للتنقيب فيه وقد قال (لوتر) أخذاً عن (كلفان) باستعداد الانسان لأمؤثرات المادية ومع ذلك لا نرى المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت يشعرون بأنهم ليسوا احراراً فيما يأتون من الاعمال

هذا واذا بحثنا عن السبب الذي اوجب اتهام المسلمين بالاستسلام لوجدناه ناشئاً من عدم ادراك الناس لحقيقة تلك الفضيلة التي هي من خصائص ذلك الدين ومنها اشتق اسمه (اسلام) وتلك الفضيلة هي الاحتمال فقليل من الديانات يأمر الناس بالرضوخ الى الارادة الالهية على النحو الذي جاء به الاسلام والمسلمون يعملون بتلك الفضيلة فلا يفوقهم في التمسك بها نساك المسيحيين ومن الخطأ الحكم على المسلمين بذهب الاستسلام لبعض الفاظ يستعملونها كقولهم هذا مكتوب عند ما تصيهم محنة فانما

هم يعلنون بذلك خضوعهم لرب السموات والارض كما يفعل المسيحيون بقولهم (فلتكن هذه ارادتك) كذلك نسبوا الى الاستسلام ثبات قدم المسلمين وعدم جزعهم من الموت واقدامهم بشجاعة تتصل بالتهور في ميادين الحروب مقدمين رؤوسهم الى أسنة الجيوش الاوروباوية في هذه الايام وهو خطأ أيضاً لان تبسم المسلم عند ملاقاته الموت واتحامه اخطار الحروب انما جاءه من اعتقاده الجازم بنعيم الدار الاخرة ومن شدة ايقانه وايمانه مما يجعل النفس هادئة تلقى الحتوف وهي مطمئنة ولا شك في ان الدين الاسلامي بتسهيله على الانسان انتقاله من هذه الدار قد حلّ معضلة من اصعب المشكلات ومن النقص في مثل هذا الدين ان يرمى بانه قتل من شجاعة المسلمين الادبية او أرخى عزائمهم

الفصل السادس

انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية — تخطيط ممالك الاسلام
انتشاره في افريقيا الوسطى — تجار المسلمين ومستكشفوا
الاوروبايين — الاسلام في مبدأه وبعد ذلك
اسباب الانتشار — المرسلون المسلمون —
(الفولبوسيون والخواصه) — اسباب
انتشار الاسلام الالهية

قد كشفنا الغطاء عن الملل التي انتحلوها سببا في انتشار الاسلام
انتشاراً عظيماً وبيننا فسادها ووعدنا ببيان الاسباب الحقيقية عند البحث
عن تقدمه في هذه الازمان لانا نعتقد ان استطلاع حال هذا الدين في
العصر الحاضر لا يبقى اثرًا لما زعموه من انه انما انتشر بجد الحسام كما فندناه
من قبل ولو كان دين محمد (صلى الله عليه وسلم) انتشر بالعنف والاجبار
للمزم ان يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع اننا لا نزال نرى القرآن
يبسط جناحيه في جميع ارجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة في هذه الايام
تحمّل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الثالث الذي جاء موافقاً لطبيعة
البشر بعد ديانة بودا الهندي والديانة المسيحية . وظن آخرون بان الاسلام
كان تابعاً لتمدن العرب وحضارة الخلفاء التي كانت تأخذ بالنفوس في دمشق
وقرطبة وبعداد وانه انقضى بانقضاء ذلك قال (بارتلمي صانت هيلير)
(ما عاد أحد من الناس يعتنق الاسلام) والواقع انهم اخطأوا في معرفة

حقيقة الامرين انتشار الاسلام وتمدن العرب فاما التمدن فهو امرأ يعتبر لغواً في الاسلام أو هو تقيض له وعلى كل حال فهو عارض فيه وساعدت الظروف على نموه بجانب القرآن ولو أنه استمر لاطفاً نوردين النبي العربي بسقوط الامراء في مهواة عدم التصديق وقلة الايمان وانحياز الامة الى عالم التخيل والاهام . وبينما كان هذا حال مدن الخلفاء، الالهة بالعمران فلا تحصى شعراؤها ولا تعد الادباء وفيها الفلاسفة يتناظرون والعلماء في المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا وافريقيا محتفظة على الدين الاسلامي في كماله الاصلى ولم تمسه فيها يد اجنبي عن تعاليمه أو خارج عن شرائعه هنالك كان منبع رسل ذلك الدين الذين انتشروا في الاصقاع كما تدل عليه قبورهم البيضاء التي نشاهدها الآن في افريقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا في انتشار القرآن على قارة أفريقيا وانما نذكر على سبيل العرض ان له في الصين عشرين مليوناً من النفوس وان للمسلمين ويقال لهم عندهم (هوى هوى) منزلة عليّة في المملكة الوسطى قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياونى)^(١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بان الاسلام لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البوديه وهى مشكلة من أهم المسائل اذ الصين أهلة بثلاث العالم أو تزيد فلو صاروا

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذي اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقبل في القرن السابع وهو الارجح

كلهم مسلمين لاوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الاكبر المهادى ويخشى على الدين المسيحى مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامى ذو البأس القوى لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها^(١) وقال موسيو (مونظيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لاجمالة على غيره من الاديان التى تتنازع البلاد الصينية^(٢) والاسلام قليل فى أوربا ومع ذلك نراه فى شمال تركيا الى ليطونية وهو ايضاً فى امريكا حيث ادخله الزوج وغيرهم الا ان افريقيا لاتزال بلده المصطفاة فهو فيها كالديانة المسيحية فى أوربا قال موسيو (بولنياك) يسكن المسلمون جميع الشواطىء من (سياراليون) الى موزنبيق البرتغالية ماراً بمراكش وولايات البربر (المغاربة) وقنال السويس واما فى الوسط فيمتد الاسلام من البحر الاحمر الى المحيط الاطلانتيق ومنه الى البحر الابيض المتوسط الى الدرجة السادسة من العرض الشمالى وتقدم انه فى الساحل يمتد الى موزنبيق البرتغالية اعنى انه يقرب من الدرجة العاشرة من العرض الجنوبى وفى (مدغسكر) كثير من المسلمين حتى ان بعض المستشرقين ذهبوا الى ان اسم الجزيرة (مدغسكر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسيو مونظيط وأكثر انتشار الاسلام فى أفريقيا فهو يتقدم فيها

(١) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة المحمدية فى الصين وتركستان

الشرقية المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٨

(٢) راجع مجلة تاريخ الديانات فى شهرى مايو ويونيو سنة ١٨٨٣

تقدماً سريعاً وينجح نجاحاً كلياً لأن أزر النساكين فيها مشدود بما لهم من
الممكنة في الجهة الشمالية وهم آمنون على ساطتهم الدينية في تلك البقاع
التي تغيب في الصحراء حتى تبلغ بلاد السودان لواسعة فلا ينازع الدين
الاسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم وينمو الدين على الدوام

وقد نخطى سيره السودان وأشرأب نحو ارجاء خط الاستواء وكان
له مقر يقرب من املاك فرنسا في بلاد النيجر لذلك عرفه ضباط الطلائع
وان كانت معرفة سطحية ولكننا لم نقف على سيره تماماً الا عند ما استولينا
على الكونغو وشاهدنا القوافل الاسلامية تهرب أمامنا كمن يريد ان
يخفي سرّاً عن أجنبي والمسلمون اليوم محصورون بين أملاكنا في شمال افريقيا
ومراكنا في الكونغو وسنغال حتى كانوا في قرصة نشدها او نفسح فيها
حسب ما تقتضيه سياستنا

ولا تتشاور الاسلام في وسط افريقيا منبعان الاول في الغرب وهو
قديم امتد اثره الى الشاطئ الاطلنطيكي حيث دخل القرآن واعتقده سكان
تلك الجهات ولكنه انثنى امام تقدم فرنساويين من ناحية سنغال الى بلاد
النيجر ولم يزل ينثني آناً قائماً حتى خرج من (تنبكتو) وهي منبعه الاصل الى
(سقطو) ومنها الى (كانو) ثم الى (كوكا) والظاهر انه استقر فيها وأما
المنبع الثاني ففي الشرق وهو حديث المهد ويصل اثره بين (وداي) ودارفور
بمجر كين هما المهدي ورئيس الطائفة السنوسية ويفصل بين هذين المنبعين
انهار (شاد) و (شاري) و (لوغوني) الجنوبية وأهل الشرق أهل حروب
متعصبون اما قوم الغرب فيميلون الى التجارة والمسالة وكان الفريقان
٩ - الاسلام

يتقدمان بالاسلام بين الوثنيين المجاورين لهم على امتداد اثني عشر ألف كيلو متر حتى تلاقوا بالفرنسويين قبيل الكونغو نواحي نهر شاد فلم تفر أعينهم لهذه اللقيا لانهم كانوا هجروا البلاد التي هاجمها الكفار وظنوا انهم يأمنون لقاءهم في الجنوب فلا يجدوا غير الوثنيين ممن لم يعرفوا للاورباويين خبراً أو يقال ان الاورباويين الذين التقوا معهم اتوا من اقطار بعيدة في الجنوب حيث تمت لهم فيها السيادة ولهم فيها مراكب ومدركات تروح وتغدو في انهار واسعة تجرى من الشرق الى الغرب

ومن الامور ذات الاهمية الكبرى بالنظر الى انتشار الاسلام توسط الاورباويين في افريقيا وحلولهم في بلاد نهر الكونغو لانهم بذلك قسموا القارة الافريقية من طرف الى طرف وربما يخشى على حركة الاسلام الذي كان يمتد رويداً رويداً مطمئناً من الشمال الى الجنوب كما يخشى على التجارة التي كانت تروح وتغدو مع القوافل الاسلامية فينعكس مجراها فتميل الى الغرب نحو نهر الكونغو لذلك اشتغل رؤساء المسلمين بهذا الامر اشتغالا لا مزيد عليه حذراً من انقلاب الحال في تلك البلاد ولقد يفيد المتأمل ان يعرف كيف كانت نتائج مقابلة الاورباويين القادمين من جهة الكونغو مع المسلمين النازلين من السودان لولا ان هذا البحث يبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر على البحث عن العلة في حياة الدين الاسلامي تلك الحياة القوية وما السبب في انتشاره هذا الانتشار العجيب

وهنا يجب البحث فيما اذا كان الاسلام ديناً عمومياً بطبيعته كدين بودا وكالدين المسيحي أو هو دين خاص بامة من الامم وهو بحث طرق

بابه من قبل موسيو كينان والجواب عليه صريح لاشك فيه من الجهة العلمية فالاسلام دين عام بغير شبهة لاننا نشاهد من المسلمين في كل أمة على اختلاف الاجناس والبلدان فمنهم الشرقى والتترى والغربى والهندى والزنجي بقي علينا ان نعرف مع موسيو كينان ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين أو متولدة من اسباب أخرى وهو يرى ان الامة العربية ليست مهده الطبيعي وانما هو ينتهي اليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومي وهو قيد ناشئ عن نظر في الموضوع من إحدى جهاته فقط لان الدين الاسلامي الذي منشأه القرآن والسنة هو الذي تولد عنه ذلك الاسلام الذي يعترف المؤلف المشار اليه بانه دين عام لاحالة وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية حصل تدريجاً بطريقة يتعذر ضبطها وذلك بتأثير الزمان والامم المختلفة التي اعتنقته بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد ان صار كما نراه في هذه الايام فلا يفضين موسيو كينان اذا حذف تقسيمه الاسلام الى اولى ولاحق وقلت فيه كله كما قال في كتابه انه دين عمومي

على ان الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس عرضاً خاصاً بالدين المحمدي بل تشترك فيه جميع الاديان

فما يعزى الى حالة الاسلام الحالية انتشار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء وبعض الاموات وكثير من التعبدات الاخرى وسببه ان المرء طماع في الدين باصل الخلقة ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار ارضاء لشهوات تشتد ظهوراً كما تقدم العهد عليها ولم ينبج الاسلام

من لوازم هذه الضرورة بل خضع اليها وأداها حقها وهذا من أكبر أسباب تقدمه ولكنه أيضاً سبب من أسباب تناقضه لأن تلك المذاهب تخالف مبداءه ولقد تجسد النفوس التي رفعت أعنتها الى السماء ومالت الى التجرد عن الحواس ورغبت في مشاهدة الحضرة الربانية طريقاً مسلوكة في مذهب التصوف يسهل عليها النسك والتعبد وقلما يلومهم بعض المتشددين من العلماء وان كان التزهيد بهذه الصفة أى الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله مما يخالف مذهب التوحيد ومن الناس من يرى نفسه بعيداً عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو في بعض الاحيان غريب (كقوله إلهي ارزقني من الابناء ذكوراً ولا تجعل ماشيتي تلد الا انثى) ومثل تلك الافهام وجد في الاسلام مذهب الواصلين والذين صار بيدهم توزيع كثير من المبرات في اعتقاد العامة واليهم صار يرحل الجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة أو الجاه وشيوخ نضب عود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن لرأينا التصديق بالاولياء غير شرعى ولو وجدنا ان النبي (صلى الله عليه وسلم) حرم الاعتقاد بهم (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) والواقع ان الاسلام في مبداء ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله الواحد الاحد وقد بقي هذا المذهب كما بدأ فهو اليوم جامعة تلك المذاهب واليه ينتهي كل اعتقاد ومن مزايا الاسلام انه دين رحيم فهو يعد الجنة والنعيم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالمحارب يموت شهيداً والمام يكتبى بتلاوة القرآن

والاثنان مقبولان عند الله وللفقير مكان علي وللغني درجة رفيعة
ولقد كان فكر النبي في الاوهية من ارفع الافكار واسماها ولكنه
تساهل كثيراً في تقدير الانسانية لذلك تسامح للناس كثيراً في رغباتهم
وما كانوا اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يمتدح ويعبد الله ولكن
لا يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الا ليم ليقهرها اذ لا ينبغي له
أن يطلب لنفسه الكمال وان يصل اليه لان من اراد الكمال فكأنه اراد أن
يساوي الاله في جلاله وهو اسوأ الاعمال وأخبث الرغبات وكان رسول الله
يميل الى بعض ما يميل الناس اليه من المشتبهيات فكان يقول على أسلوب بسيط
(حبب الى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرّة عيني في الصلاة) ولقد يمسر
الجمع بين هذا التفضيل وبين الميل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى في الامر
تهكماً ولكن هذه الجملة لا تحتوى في الحقيقة على معنى خفي بل ما يفهم
من لفظها هو الذي قصد منها ومن وعائها فقد عرف الاسلام كما ينبغي
وقد ورث المسلمون عن نبيهم ميلهم الى ما كان يميل اليه فللاصلاة في
قلوبهم منزلة سامية وليس التمسك بها عندهم خاصاً بالنساء والاطفال كما هو
عند المسيحيين بل هي مزية من مزايا الرجال واحدى جهات فضلهم على النساء
ولا يواظب عليها الصبي او المرأة الا نادراً لاعتبارها عند المسلمين من
اعظم الامور التي تلزم فيها صفات الرجل التام

ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي عنه وامر بمجاهدة النفس فيه
فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون
في العمل بهذا النهي فكان من وراء ذلك ان نجت الامم الاسلامية من

مرض المسكرات وهي الداهية التي تفجع اليوم أممًا كثيرة من المسيحيين
وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الانساني وظهور مذهب
الفوضويين مما تجهله الامم الاسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما اودع فيه من اعلاء
شأن النفس بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها
خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر
حيث اتاح للناس شيئاً مما يشتهون واعظم عامل في انتشار الاسلام
خصوصاً عند الامم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسداجه تعاليمه
وهو سبب وجوده في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الهمج كثيراً
الذين لم يعرفوا ديناً من قبل ذلك . دين لا اسرار فيه وكلمته أى كلمة
الشهادة يمتاض عنها عند الاحتضار باشارة تدل عليها كرفع السبابة الى
السما اشاراً الى وحدانية الله تعالى فكلماً وجد الرجل الجاهل امامه
دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين
عيسى تراه يختار الدين الذى لا يزيد شيئاً عن تينك الحقيقتين ويعتق
الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار
وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي)
الذى سماه (الرد على القرآن) (ولا يعين عن ذهن القارىء ان تلك الطائفة
الشريرة أو المخرفة أو ماتشاء من الاسماء لا تزال حافظة لكل مافي الدين
المسيحي من الامور الظاهرة الواضوح القرية التصديق مضافاً اليه ما يوافق
نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه أحاجى الانجيل التي نخالها

في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وبهذه الوسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب في ان الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في ايماننا هذه بعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية)

بقي علينا ان نستقصي الاسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضاً نجد سبباً عظيماً من أسباب انتشار القرآن فرفعوا راية الاسلام هم في العادة تجار بلد واحد تضافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فلبشر الاسلامي (وليلاحظ ان هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين اذ ليس لدينهم مبشرون منقطعون لهذا الامر كالمسيحيين) لا يوجب عند الامم الجاهلية خوفاً منه ولا فرقا لمقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو مونتيل يعتقدون دينه لانه لم يعرضه عليهم مما أشبه الامم بالاطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيما تحسبه ممنوعاً عليها أما الطرق المستعملة في انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبحت فيه عنها جهات افريقيا بجانب الاملاك الفرنسية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

والقائمون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الابيض في السودان وله الاولوية على غيره . وهو اعرق في الاسلام واليهم أشرنا عند

ما قلنا بان أحد منبغى الاسلام أقاليم نهرشادو وندشاهدهم المكتشفون
الفرانسايون فى (شارى) و (اوغونه) والفولبوسيون يقصدون نشر
الاسلام وتوسيع متاجرهم ثم هم يرمون الى غرض آخر هو اتساع نطاق
سلطتهم فلم خطط سياسيه فى الاستعمال مثل أوروبا يعملون لاجلها فى
افريقيا قال موسيو (مستران) ان الذى الفت ذهننا كثيراً لما قدمنا الى
جهات شارى هو النظام السياسى الذى تمكنت ملوك الاسلام فى اواسط
افريقيا من ايجاده بين الامم التى دانت لكلمتهم) وللفولبوسيين مساعد
كبير من عشائر يقال لها الخواصة وهم من الجنس الابيض واقرب عهد
بالاسلام وأقل منهم منزلة فنسبتهم اليهم كنسبة اليهودى للعربى ولقد
شبهنا باليهودى لانه تشبيهه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروبايين
فالخواصة أمة لازمة لكنها محتقرة كما هو شأن اليهودى يجب المال ويتكهن
طرق اكتسابه ولا يخاطر بمتجره فيسير خلف (الفولبوس) وهو رجل
الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن وتمكن والخواصة هم
اهل المعارف والعلوم فى السودان حتى كانوا احتكروها الا أن علمهم قاصر
على شئ يسير كالقراءة والكتابة فى اللغة العربية وهو كاف لنفوذهم فى
الوثنيين لأن هؤلاء يعظمون الكتاب والقارىء الى درجة العبادة تفريغاً
ومع ذلك فلا يزال الخواص وضعى الدرجة فى عين متبوعه الفولبوس
فالفولبوسيون هم انصار الاسلام فى الحقيقة والخواصة منهم بمنزلة الوعاظ
والفقهاء

ويعزى امتداد سطوة الفولبوس دينياً وسياسياً الى تداخلهم فى

الخصومات التي تتكرر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فما تخاصم الالهالى
الا وتداخل الفولبوسيون اما الجهات التي اجتمعت فيها قلوب الوثنيين
وخفت وطأة الشقاق لديهم فلا يدخلون بينهم بدينهم وسياستهم الا بالعناء
ويتوصلون الى غرضهم في الغالب عند ما ترتكب جريمة قتل أو سلب حيث
يوجد قوم من المسلمين لانهم يرسلون اليهم الكتائب لتقتص منهم وبذلك
ينتشر دينهم وتعلو كلمتهم ومهما تنوعت اسباب تداخلهم فان طريقة سياستهم
تدل على حذق واقتدار فيها ومرجعها الى مبدأ الحماية الذي توصلوا الى وضعه
بين الامم الممج كما رواه موسيو (مستر) فمن احتفى بهم فقد آمن ومن خرج
عن طاعتهم اصبح مهدداً ومتى احتمت بهم قبيلة ذهب رؤسائها الى ملوك
الاسلام فى السودان فيولونهم المناصب ويلبسونهم الخلع ويردونهم الى
اوطانهم يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين وتحت رعايتهم فان كانت القبيلة
او القرية عظيمة ارسل السلطان اليها رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة
عنه والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكام مستشارين ذوى كلمة
ونفوذ ومعارفهم وما تعلمود من الاحكام بالقرآن تؤهلهم الى القضاء لمنفعة
اللاجئين اليهم وهم كالعالم يجتمع حوله التجار الوافدون من السودان وقد
يتفق ان بعض القبائل الوثنية لا تخضع من اول ظهور الفولبوسيين بينهم
هنالك تسطو عليهم قبائلهم فتسلب منهم وتأخذ ابناء الرؤساء فتبعث بهم
الى السودان حيث يتربون على مبادئهم ومبادئ الخواصة وبمدد زمن
يرجمونهم الى بلادهم فيقومون فيها كسواب عنهم مثل الحكام الذين ترسلهم
الممالك الاوروباوية فى مستعمراتها وفى تلك الاثناء ينتشر الاسلام بمجرد

١٠ - الاسلام

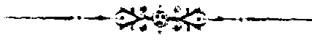
الاختلاط والمعاشرة وحب التقليد بدون أدنى اكراه ولا تعيين رسل أو مبشرين اذ بمجرد أن يشتري الوثني خرقة القطن من أحد الخواصة ويستتر بها عورته يأخذ في تقليد البائع في الصلاة كالقردة ويتمسر بيان اللحظة التي يصير فيها مسلماً حقيقياً لان اسلامه يأتيه تدريجاً ومتى كثر عدد المسلمين في بلد أقام فيها الفولبوسيون مدارس يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لا يتداخلون في نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك للخواصة أو للاهالي أنفسهم

ونذكر من الوسائل الناجحة في يد الفولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الاسباب على انتشار الدين الاسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب أن يصم المرء اذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان اعتمد بمن نعتقد) على ان الزواج هو السبب في وجود أنصار الاسلام الاولين وكثيراً ما تزوج النبي لخدمة دينه لالشهوة في نفسه فتدصرح بأن الله أباح له الجمع بين عشر نساء خلافاً لما فرضه لجميع المسلمين وهو اختصاص تدرك غايته لمن تأمل في الامور لانه كان معصوماً عن النساء حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وتزوج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الاول وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت تلده ولم يعمل الى ما اباحته العرب قبل الاسلام واباحه القرآن بعد ذلك من تعدد الزوجات ولم يتسرى ثم توفيت خديجة

سنة ٦١٩ وعاش بعدها اثنتي عشرة سنة تزوج في خلالها بعشر نساء ليس بينهم من الاثنتين كاتنا بكراً والباقيات مطامقات أو مترملات قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت ليزيد في نشر أوهامه وهو قول يقصد به قائله القدح ولكنه حجة على ان النبي لم يكن في تعدد الزوجات شهويًا هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام واست ادري ان كانت تكفي لادراك سر هذا الدين في انتشاره او انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحاق وقد بارك الله في ابناء الخادمة كما بارك في ابناء السيدة ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من اولادك وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجى في الصحراء حيث رمى ليموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجمل الروايات ووصف بادية الظما، ولطف الام على ولدها من الطف ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناجاها الملك من قبل الله مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعتيه فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

ولقد ارتعشت يدي عند ما مددتها لازيل الغطاء عن الكتاب المقدس

كى أنقل الآيات التى سطرتهـا ولولا ما قاله الأب بروغلى من ان تقدم
الاسلام أمر . مندرج تحت ما بشر به أبو المؤمنین لما تجرأت أن أطبق تلك
الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى ان فى انتشار هذا الدين سرّاً من
الاسرار الربانية



﴿ الفصل السابع ﴾

« الاسلام فى الجزائر »

استعفاء المسلمین على التنصر — المبشرون بغير رسالة — جمعيات الدين
فى الاسلام — غرض تلك الجمعيات — تحول الهيئة فى
المسلمين — التقليد — التورات

شاهدنا الاسلام يبرهن على قوته وحياته باكتساب الوثنيين فى أواسط
أفريقيا وتجنيدهم تحت راية القرآن وله كذلك فى الشمال الشرقى من بلاد
الزنج وفى مصر العليا (السودان) وفى (سريناق) مايدل على قوته الغربية
وسيره المدهش اذ قامت مملكتان قويتان مملكة المهدي ومملكة امام
جغوب منذ خمسين سنة على هيئة حكومات تشخص الحكومة الدينية
التي أرادها النبي الاسلامى كذلك توجد فى الزاوية المقابلة لهاتين المملكتين
مملكة نالته فى شمال أفريقيا وهى على نسقهما ولا تزال تقاوم هجمات الديانة المسيحية
ظافرة عليها وتعنى بها مملكة مراکش ولا شك فى ان سلطانها مع ما عليه بعض
العشائر التي تسكن البلاد الخاضعة لحكمه من عدم الاذعان تماما لسلطته سيكون

اذأألت بتلك الاقطار المحن حامى حوزة الدين الاسلامى فى الغرب بأجمعه ونحن نترك البحث فى حال هاتيك الممالك الاسلامية التى اجتمعت فىها السلطة الدينية والسلطة السياسية فى يد حاكم واحد طبقاً لقواعد القرآن وهى البلاد الممتازة التى حفظ الموحدون فى مكة لها اسم دار السلام وهو الاسم الذى تميل اليه نفس مصر وتركيا على غير جدوى حيث التمدن الغربى قد كدر صفاء المذهب الاصلى ونقتصر على الاسلام فى الجزائر وفى ممالكننا الافريقية حيث يزاحمه الدين المسيحى والحكومة المسيحية وهى البلاد التى سماها المسلمون دار الحرب أى دار الجهاد فى الاسلام والبحث عن الاسلام فيها يدور على ثلاث مسائل . هل أحدث الانجيل تغييراً فى القرآن واذا فرضنا ان الاسلام لم يزل محفوظاً هل حصل تقرب بين المسلمين والمسيحيين يرجى معه حصول الامتزاج التام فى المستقبل وهل الجهاد اعنى خروج المسلمين عن طاعة حكامهم المسيحيين لا يزال امراً منتظراً يهدد فتح هاتيك الاقطار

فاما الاسلام فليس من اهله من يمرق عنه الى غيره وبعيد عن فكر المسلمين تصور هذا الامر حتى انهم لا يجدون لفظاً يعبرون به عن صفات من يأتيه كما انهم تحيروا فى وصف المسلمين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية لان فيها معنى من معانى الردة ولذلك اضطروا الى استعمال لفظ من الفاظ اللغة الفرنسية ليطلقوه اسماً عليهم فقالوا (متورنى) باسكان الميم وضم التاء ومعناه المنقلبون .

ومن الصعب ان يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين ان

ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي متنور يريد وثني ان يميل به الى عبادة الاصنام
 لكان التشبيه ناقصاً والسبب في استعصاء المسلم على التدين بالنصرانية
 استعصاء قويا هو احتقاره النصارى واعجابهم بكل الاعجاب بكونه من
 الموحدين وقد يمتد بعرضهم ان فضل دينهم يفوق على النصرانية بدرجات
 يستحيل معها على المسيحيين ان لا يوقنوا بصحة الاسلام حتى انهم يتخذون
 مسالمنا اعترافاً ضمناً منا بتلك الافضية ولانهم انما يعبدون الله تعبداً ذهنياً
 وليس لديهم من علامات أو معدات خارجية ويرون في احتفالات النصارى
 ضرباً من ضروب العبادة الوثنية ويسمون ارباب الانجيل أهل الكتاب
 ولكنهم لا يجعلونهم في الرتبة التي تلي رتبة المسلمين بل كثير منهم يمتنونهم
 أكثر من مقت الوثنيين لكونهم غيروا ما نزل الله عليهم من الدين
 بعد ما علموه

تلك هي افكار المسلمين في الديانة المسيحية وبديهي انها مانع حصين
 يحول بين النصرانية وبين التقدم فلقد نجح المرسلون في تنصير الامم المختلفة
 التي انتشروا فيها سواء كانت متبربرة أو متمدنة ولكنهم لم يروا في طريقهم
 بلداً قام في وجههم وسدت عليهم فيه جميع ابواب الفتح كما لا فوا من المسلمين
 لاننا شاهدنا الوثنيين المتمدين تركوا دينهم الهمجي لعدم موافقته لما
 وصات اليه عقولهم من التهذيب وكان لهم من تهذيبهم معين على تلقي
 المعقولات المحضة فسهل ذلك على المسلمين عرض مذهبهم بطريق التقرير
 المنطقي وتمكنوا من افنائهم حتى ان القديس بولس نفسه كان يلاقى كثيراً
 من الوثنيين الذين يتركون آلهتهم لتبينهم كذبها ويرى من بعض اليونان

ميلاً الى أخذ الامور بالدليل والبرهان وقد سهل ايضاً تنصير لوثنيين المتبربرين بالمرسلين عليهم من المزية في العلم والافضلية في سمو الادراك ولكن أى مرسل وأى خير يمكنه ابدأً ان يزحج المسلم عن تمسكه بدينه ويجعله يعبد ما يحتقر ويحتقر ذلك الدين المتين الذى يرى فيه مجده الاعلى وكيف يمكن لأولئك المرسلين ان يزيلوا من فكره ما تمكن منه ضد الديانة المسيحية الى الابد وهو لا يقبل المناظرة فيها ولا يطبق الجدل عليها :

ولقد تسألوا عن امكان محاربة الاسلام بالعنف والقوة حيث هو لا يقبل التبدل بالاقناع والحجة ولكنه ما كان يتيسر للفرنساويين ايام الفتح ان يخضعوا المسلمين للدين المسيحى كما فعل الملك شارلمان بل اضطرت الكنيسة الى السكون كما التزمت جانب المسالمة فى هذه الايام بين الامم والمسالمة حكمة منها ولكنها لا تقبلها بصفة مبدأ من مبادئ الدين المسيحى بل تردها رداً . هكذا كان محظوراً علينا كل قهر فى الدين طبقاً لمعاهدة الجزائر حيث التزمت فيها الحكومة الفرنسية بوساطة الجنرال (بورمون) ان تحافظ على ديانة رعاياها من العرب وتحترمها وقد كاد ان يحصل استثناء سنة ١٨٦٨ ذلك ان اسقف الجزائر أخذته الحمية واراد ان ينصر عدداً كبيراً من المسلمين فجمع كثيراً من اليتامى بعد القحط المهلك الذى ابتليت به الجزائر وعمدم ولكن الجنرال (مكماهون) حاكم البلاد اذ ذاك تدخل وابطل هذا المسعى لمخالفته لما تعهدت به فرنسا ومن عجائب المتناقضات ان فى الجزائر الآن من الكتاب من يأسف على ترك تلك الطريقة ولو انهم كانوا فى عاصمة

بلادهم لاصطفوا بين أشد الناس دفاعا عن حرية الأديان فكأنهم يرجون حكومة تسمى في تفريق الأديان بالهدايا وبذل الأموال من جهة وتضطهد المسلمين الموحدين في دينهم من جهة أخرى ولو أنه قام في مبدأ الفتح قس ماهر وساعده امير يميل الى انتشار الدين المسيحي من نفسه أو بتأثير النساء عليه فجمع ذلك القس اليه كل ساخط على الحكومة والحال الجديد ووعدهم بالمال وعزة الجاه لكان لنا سنة ١٨٧٠ آلاف مؤلفة من العرب قد تركوا دينهم وتربوا تربية فرنساوية حقة

فاستعصاء المسلمين على التنصر بواسطة المرسلين واستحالة اخضاعهم بالقوة هما السببان اللذان يعترضان تنصرهم والمرسلون من الكاثوليك هم أول المعترفين بوجود العدول عن الوعظ مباشرة ولكنهم مع ذلك متمسكون برسالتهم فلم يملوا من الجهاد في سبيلها ولم تنحط عزائمهم امام صلابة الاسلام فاینما نزلوا مهدوا الطريق وآووا الفقراء والمساكين واقاموا في خدمة المرضى ونشروا التليم بين الاطفال قال موسيو (سريفاريا) ولكنهم لم يحوموا حول مسألة الدين مطلقاً وهم انما يزرعون البعد عن الدين مع كونهم من الاحبار على انهم لم ينجحوا في ادخال الانجيل بين العرب فقد كانوا من احسن الوسائل لنشر نفوذ الدولة فرنساوية والحكومة مخطئة في عدم حمايتهم والمجافاة في معاملتهم مع انهم قصروا حياتهم على خدمة الدين ومع ذلك فقد خالفوا ضمائرهم وعملوا على ما فيه منفعة فرنسا تركا لئلا يستطيع ولات حين زمان اصلاح مافات فقد انتشر المرسلون من الانكليز البروتستانت بين القبائل وجعلوا يخلصون ظل سيادتنا هنالك ترسل الدولة البريطانية

التوراة تحملها الرعاة الى تلك البلاد التي فتحها جنودنا مرات متتابة كما
ترسلهم في جميع ارجاء المسكونة وعلى الخصوص حيث تحشى تقدم النفوذ
الفرنساوى

واقدم بقى الاسلام سليما على التمام فى الجزائر الا ان المسلم لاحظ كونه
محكوماً بمن لا يعتقد بدينه فاخفى فى نفسه ما يضره له من البغض والاحتقار
ولولا ان قوماً من اصحاب الدين يحركون على الدوام فى قلبه عاطفة لايمان
لصح الامل بضعف اسلامه مع مرور الايام ولاولئك القوم جمعيات سرية
تعمل دائماً على تجديد الدين الاسلامى بين جميع الموحدين وعلى الخصوص
بين الامم التي اخضعها المسيحيون

ومن المعلوم ان فتوح العرب وحكومة المغاربة فى اسبانيا بعده جمعت
بين افريقيا وأوروبا زمناً طويلاً ولكن انتهى الامر بان انزوى الاسلام
الى ما بعد بوغاز جبل طارق وانقطعت الصلة بين القارتين بطرد المغاربة
سنة ١٦٠٩ وشخص الناس الى بلاد الغرب كأنها ملجأ للقرآن منيع لا تصل
اليه الاطعام وارض بعيدة عن الاختلاط بالمسيحيين واعتقدوا بان الدين
الاسلامى يصير كأنه فى بلاد عرب جديدة يزاوله الناس على صفائه القديم
فلما فتحت فرانساً بلاد الجزائر انتهكت حرمة الاسلام ورجعت الصلات
ثانية بين افريقيا الاسلامية وأوروبا المسيحية وانفتح الباب فى ممالك الغرب
الى عدو أشد وقعماً على القرآن من الجنود المجندة وهو التمدن الحالى ففطن
المسلمون الى ما أحدى بهم من الاخطار وارادوا تمكين الجامعة وتوحيد
الروابط بينهم وهى عند المسلمين أشد قوة منها لدى غيرهم من الامم التي
١١ - الاسلام

تدين بدين واحد لان القرآن شريعة دينية وقانون مدنى وسياسى ومن ذلك وجدت حركة فى النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الايمان قال القائد (رين) وتأتى قوة هذه الحركة الاسلامية من تعدد الطوائف الدينية التى وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها فى جميع الانحاء وصار لها تأثير شديد فى قلوب الناس ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الاسلامية التى لاحد لها وغير الاسلامية كمبشرين أو مستعطين أو قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الاقطار من مكة الى جنجوب الى التسطنطينية وبعداد الى فاس وتنبيكتو الى القاهرة الى الخرطوم الى زنجبار ثم كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والطبيب والصانع والشحاذ والسائل والمشعوذ والمتشرد والمجذوب تصنعاً أو المأخوذ على غير شعور منه برسالته وكلهم يلاقون صدوراً رحبة ومنزلة كريمة بين المؤمنين الذين يحمونها من النوازل ويدروءن عنهم تهجم الحكومات

ونحن لانريد أن نأتى على تاريخ تلك الطوائف الدينية المنتشرة فى الاسلام كما فعل القائد (رين) بل نكتفى بالإشارة الى سبب نراه العلة فى انتشار هذه الجمعيات فى أيامنا وبعد ذلك نبين المقصد الذى يرمون اليه فى الجزائر

فاما المشايخ المعروفون عند المسلمين فلا تأثير لهم عليهم لان العبادة ذهنية أو هى قلبية فلا تحتاج لقوام كما انها لا تحتاج لمساجد أو جوامع ومن أعجب العجب انه لا درجات فى تلك الجمعية مع انها دينية صرفة فلا يعرف

الناس الارئيساً واحداً هو الامام أي خليفة النبي فاليه مرجع السلطتين الدينية والسياسية ومن هنا يسهل على المنأمر معرفة الاضطراب العظيم الذي حصل في المسلمين من فتوحات المسيحيين ودخول التمدن الاوروبوى في بلادهم لان نتيجة ذلك ضياع السلطة الوحيدة التي يخضع لها الاسلام اذ لم يعد يوجد الآن امام عام للموحدين نعم ان سلطان القسطنطينية يعتبر نفسه خليفة الرسول ويتسمى باسم شيخ الاسلام الا ان هذا اللقب في اسناده اليه لقب تشريف ليس الا غير معترف به في الولايات الخارجة عن حكمه والدول الاوروبوىة أفرغت جهدها في تحميره بعوامل التأثير والتذليل التي الجأت الباب العالى اليها فلم تقم تلك الجمعيات بحفظ الروابط بين جميع المسلمين وجمعهم في صعيد واحد لاصبح المسلمون كقطيع عظيم من الماشية بدون راعٍ ومن هنا تعلم ان كثرة الطوائف الدينية في الاسلام وكثرة المريدين فيها في هذه الايام ضرورة اقتضاها التكاتف على حفظ الدين والتوازر على صيانة الجامعة بين المسلمين

وقد كانت هذه الضرورة أشد في الجزائر منها في غيرها من البلدان فان الفرنسيين اوجدوا فيها جمعية روحانية اسلامية رسمية لمقصود لم يدم الا كما يدوم الخيال هو التأثير على الاهالى بواسطة الدين ورتبوا لاعضائها مراتب يتقاضونها من الحكومة فكانوا شنعة في أعين المسلمين ولو انهم بقوا متوصلوا في الغالب الى استمالة بعض الاهالى ولكن الطوائف الدينية الحرة قاومتهم واستقطت مقامهم بين الناس ونجحت في مقصدها تماماً وليس اليوم من كلمة تطاع الا اذا كانت صادرة عن أحد رؤساءها تلك الطوائف

وأولئك الرؤساء يميلون على الدوام الى الزهد والتشرف ولهم تعبير في القول لا يفهم عمال الحكومة منه شيئاً اذا عثروا على بعض الفاظه فهم يدعون الناس تحت طي هذا الطلسم الى مقاومة التقدم ومغالبة التمدن باقصى الجهود ذلك انهم آمنون من جهة تنصر المسلمين فهو أمر معدوم كما قدمنا ولذلك اجمعوا أمرهم على مقاومة سير التمدن لكونه ربما أدى الى فتور في الاعتقاد عندهم وهم الذين يحيون روح احتقار النصرانية في النفوس ويجعلون اجتهادنا في تأليف أهل الجزائر واستمالتهم الينا يذهب هباء منثوراً

ومع انتشار الطوائف الاسلامية في الجزائر وقوة تأثيرها فانها لم تتمكن من منع تغيير الاهالي من حيث هيئتهم الاجتماعية تغيراً محسوساً والعامل في هذا هو الاحتلال الفرنسي كما أشار اليه موسيو (شاتليه) حيث قال تنقسم أهالي الجزائر الى ثلاثة أقسام فمنهم الرعاة الرحل وأصلهم من العرب ومنهم الريفيون أصحاب الزراعة واغلبهم ينتمون الى القبائل ومنهم اخلاط المغاربة ومنهم المدنيون وهم التجار والصناع وقد حصلوا على شيء من المعرفة الصناعية وأصلهم مختلط منهم من المغاربة الذين اختلطوا بالأتراك وامتزج فيهم ايضا دم العرب والقبائل اه

ويختلف تأثير التمدن في الجزائر باختلاف هذه الطبقات الثلاث ولكنه احدث في كل قسم منها ميلا الى حالة مدنية جديدة فقد خفف الرحل روحاتهم وجيآتهم وصاروا نصف رحل وبعضهم مال الى زراعة الاراضي الخصبة في مرتفع الوديان ومنخفضات الصحراء وتدحرج سكان الارياف الى التخليق باخلاق المدنيين وأما هؤلاء فقد تأثروا كثيراً باختلاطهم

باصحاب المعاملات التجارية ومعاشرتهم لاصحاب الصناعة الاوروبوية
وتعودهم على الاخذ والعطاء مع أهالى البلاد الغربية وكثيراً ما أخذ العربي
الذى يسكن المدائن عن التمدن الاوروبى رذائله ومعائبه وخالف أوامر
القرآن وشرب المسكرات وهو فى الغالب مفرطاً فى تعاطيها وأكل
الاطعمة المحرمة الا لحم الخنزير فهو ينفر منه باصل فطرته ومع ذلك فهو
لا يزال يحافظ تمام المحافظة على بعض أوامر الكتاب كصوم رمضان حتى
ان الباغيات يصمن فى اما كن فحشهن

ومع ذلك كله فان عوامل التمدن لم تتمكن من اضعاف الاعتقاد فى قلب
المسلم وان زحزحته قليلا عن المحافظة على جميع اوامر القرآن بل لا يزال الايمان
عندهم تاماً كاملاً خلافا لما يراه موسيو (شاتليه) فانه يحسب ان عدد المسلمين
الذين لا يؤمنون ولا يقيمون الفروض يزداد كل يوم فى مدائن الجزائر وعندنا
ان هذا القول صحيح بالنظر لترك الواجبات واكنا نراه مخالفاً للواقع من
جهة ضعف الاعتقادات فما من مسلم صار غير مقيد فى الاعتقاد بل يجوز
انه أهمل جميع الواجبات ولكن اعتقاده لم يتحول وصحيح فى الاسلام ان
يبقى الرجل مسلماً وهو لا يعمل بما يمليه عليه القرآن

ولعمري لست أدري ان كان هذا التغيير على نحو ما شرحناه
عنوان تقدم فى اهل الجزائر وانه رفع من أخلاقهم وزاد فى رغد عيشهم
وعلى الخصوص قتل من بغضهم للمسيحيين. أنا لأظن ذلك فانى وان
سلمت بان بعض قبائل البدو الرحل مالوا الى الزراعة والى كنى لأرى
فى انتقالهم من البداوة الى الزراعة ومن الزراعة الى سكنى المدن

والامصار موجبا التهذيب الاخلاق ورفع درجة الآداب لان معيشة القبائل على حالتهم الفطرية معها كان فيها من النقص هي أشد احتفاظاً على الاخلاق واعظم باعث على التمسك باصول الادب فليس من سلام على النفوس الا معيشة الرجل بين اهله بعيداً عن المدن وما حوته فالمعيشة في الصحراء ناشفة يابسة ولكن ما ضمته الخيام ليس عرضة للتبدد والضياع اما اذا سكن العربي في المدينة خصوصاً المدن الاوروبوية فانه يكون على مقربة من دواعي اللهو وتزداد حاجاته ويطلب القهوة والحلوى وتميل امرأته الى الملابس القطنية ويده لا تقوى على سد هذه المطالب كلها فيعيش في ضجر مادي ينشأ عنه ألم ادبي ولقد شوهد كثيراً ان الضنك يشتد على القبائل بقدر تقربها من المدن الاوروبوية فاول القبائل التي خضعت لحكم الفاتحين واختلطت باقوامهم كانت اول القبائل التي لحقها الدمار وابادها الاندثار وانحطاط المدني اديباً هو السبب في احتقاره من ساكن البادية اكثر من حالته السيئة التي يعيش فيها . وليس لفرنسا ثمرة تجنيها من انحطاط رعاياها المسلمين في الجزائر اديباً ومادياً ولهذا نرى الحكومة بحثت عن مداواة هذا الداء وارادت تهذيبهم فوجدت التعليم الفرنسي عندهم وانشأت مدارس للتعليم الابتدائي واخرى للتعليم الثانوي ومدارس للصنائع ولكنها ما كانت لتنجح في هذا المسمى لانه معها حسنت نوايا المسيحيين لا يأمنون من جبوط مساعيهم في تمدين الاهالي وان شئت قل ان كل امر يأتى على ايديهم ممقوت ومرذول لذلك كان التعليم الفرنسي معيباً من الاصل ولم ينجح في شيء حتى ولم يقلل من نفور الاهالي نحونا

واليك ما قاله أحد أعضاء جمعية التعليم موسيو (شارفريا) في هذا المعنى (إذا اردت ان تعرف مقدر بغض الالهالى لنا فانظر الى درجة تعليمهم الفرنسيون فكما زاد تعليمهم وجب الحذر منهم) وقد مكثت زمنا طويلا أقاوم هذه الحقيقة التي توجب اليأس وتقطع الرجاء ولم ارجع عن رأيي الا لما رأيت جميع من شاورتهم فيها متفقين على تقريرها)

وقد قال حاكم الجزائر نفسه موسيو (ترمان) في مجلس الادارة الاعلى سنة ١٨٨٦ (لقد دلتنا التجارب على ان اكثر الناس عداا لنا هم اولئك الذين علمناهم كثيرا) على ان الحكومة نفسها قد اعترفت بمجزها عن تحويل الجزائر الى فرنسويين بواسطة التعليم الفرنسي ولم تتمكن من احياء التعليم العربى وان اكثرت من فتح المدارس كما ان جميع الصنائع والحرف الاهليه قد اندثرت على مقربة من مدارسها الصناعية والفنية التي أنشأتها. والذي نستنتجه من هذه التجارب التي لم تجد نفعا هو ان مشكلة التقريب بين العنصرين الاوروبى والاهلى لا يمكن حلها بمعرفة الحكومة لان يد الادارة يد ثقيلة لاتصاح لعمل لطيف، مثل هذا وحدة الموظفين مانعة من التبصر فلا صبر لهم على انتظار الثمرة الصغيرة زمنا مديدا وبالجملة فان كل وسيلة تتخذ في سبيل التقريب الذى نبحت فيه رديئة نعم قد يتحو الدهر بمض المتناقضات ويولد بعض المتشابهات ولكن ان يحصل اتحاد تام بين العنصرين مدى الابد وكم من أوهم توهمها الناس في مشكلة الجزائر يضحكننا اليوم تذكرا بعضها كالذى تخيله موسيو (دولانجل) أيام كتب تقريره على مشروع استشارة الامة سنة ١٨٦٥ حيث ذكر فيه هذه الجملة (ولم يبق الا

زمن يسير حتى تفتخر الامة التي بلغت عواطف الشرف فيها لدرجة القصوى
 بالاشتراك في أعمال الامة الفرنسية التي لها في العالمين مقام رفيع) ومن
 الخيال أيضاً ما ذهب اليه موسيو (لوروا بوليو) من أماكن التوصل لجعل
 العرب رعية صادقة من المخلصين في الولا، فستغرب ان يفكر اولئك القوم
 في رجاء هذه الفوائد من الجزائر وفي ان يصل أهلها الى تقرب يحملهم
 يوماً من الايام على حب الوطن الفرنسي ولو صح هذا لكان أمراً خارقاً
 للعادة لم يسبق له مثيل في التاريخ فانا نعلم ان اختلاط العنصرين ببعضهما
 دام تسعة قرون في بلاد الاندلس من سنة ٧١٠ الى سنة ١٦٠٠ ولم نشاهد
 مع ذلك ان وطن الغالب صار وطناً للمغلوب ومع ذلك فالوهم عندنا متسلطن
 في ان نطالب الجزائريين بما نطالب به الفرنسيين من الولاء والاخلاص
 اتفق سنة ١٨٨١ انه في مبدأ ثورة ابي عمارة قام احد القواد وكان من
 أشدهم موالاة لنا وتوجه برجاله الى جنوب ولاية حوران لقتال المنشقين فلما
 رجع علم بان قبيلة خرجت عن الطاعة ورفعت خيامها ورحلت بنسائها
 وأولادها وماشيئها فذهب الى مراكش في طلبها وعاد بها بعد سنة من الزمان
 واقنعها بوجوب الطاعة والخضوع فاحيل الى المحاكمة أمام مجلس عسكري
 بحجة انه خان الدولة الفرنسية . وفي الواقع انه لم يخلص لنا الود اذ كان
 يلزمه على رأيهم ان يترك لنا عائلته وأملاكه وانكنا نعلم ان كثيراً من
 الفرنسيين لا يودون ان يكون مثل هذا الطلب محكاً لوطنيهم ومعياراً
 لمعرفة صدقهم لبلادهم

ولسنا نود ذكر جميع الخيالات التي تصورها الباحثون في طريقة

التقريب لان ذلك شرح يطول ففهم من ذهبت به الاحلام الى تصور الجزائر أهلة بعرب يلبسون القبعة ويلبفجون السترة الصغيرة (جكيتته) وقد نسوا لغة الوحي المقدسة وجعلوا يرتلون القرآن بلغة فرنساويين نقلوا عن ترجمة (كزيميرسكى) ورأينا ان البون يبق شاسعاً بين المسلم والمسيحي وان من السعود ان تقرب الشقة بين الاوربي والعربي وان هذا التقرب يحصل من نفسه وهو ينشأ من التجاء المستعمرين فرنساويين الى العرب في حرث الارض وغرسها ولو ان المستعمرين ياملون العرب برفق ولين ويقسطون معهم لافادوا في هذا السبيل أكثر مما أفادت اللوائح والقوانين اذ لست ادرى لم ان الرجل منهم يكون في باريس من الاحرار المتطرفين فاذا جاء الجزائر تزعت نفسه الى احياء أشد الازمان في حكم الشرفاء تعسفاً واجحافاً وعندى ان أليق الناس بالعمل المطلوب هم المرسلون لا الكاثوليك فلا تترقى الاهالى في معارج المدنية مع بقائهم على دينهم الا بهم نعم ان الترقى يكون بطيئاً ولكنه يصح أن يسمى تقدماً ودليلنا على ما نقول حالة التبادل التي توطنها المرسلون فانهم توصلوا مع أهلها الى درجة عظمى

مضى على الاسلام في الجزائر نصف قرن لم يؤثر فيه الاحتلال فرنساوى كذلك تفانت امواج التمدن الاوروبوى تحت أقدام مقاومة الطوائف الدينية في تلك البلاد ولو ان تلك الطوائف تعرف من نفسها اقتداراً على قذفنا في البحر لتقيم بعدنا مملكة اسلامية جامعة (أى بين السلطة الدينية والسلطة السياسية) لاقتحمت الاخطار وقلبت الحكومة المسيحية ولكنهم يرون الغرض بعيداً لذلك هم يتصرفون مساعيتهم على احياء

روح البغضاء في نفوس تابعيهم مما يكفي لتزكيتهم غالباً تلاوة بعض الجمل التي ملئت سخطاً على النصارى على ان جميع رؤساء الطوائف المذكورة ليسوا واحداً في مقاومة التمدن الغربي بل يحذو بعضهم حذو من يضع الشرع ليقيد به غيره ويستفيد من مكشفات ذلك التمدن التي حرموها على المرابطين واكبر الطوائف واشدها تمسكاً بمبادئها هي طائفة السنوسية وهي التي يخشى منها اكثر من غيرها ولها شيخ ذو دهاء ينظر اليه البعض كجامع وحدة الاسلام وهو رجل رأى انه يضعف عن مقاومة الحكومة الفرنسية في الجزائر مقاومة صريحة فعدل عن فتح الجزائر الى فتح ارض غيرها الاسلام وعلم سيدى السنوسى ما أحزن المسلمين من حكم المسيحيين كما علم موسى الذى نجاه الله ما أصاب قومه من فرعون وأراد خلاصهم من يد الكفار وان يقودهم من دار الحرب الى دار السلام فناداهم ان اخرجوا من دياركم ان ارض الله واسمة الفضاء وانتقل الى ارض فسيحة الجوانب خالية من السكان فلحق به كل مسلم لا يرى له بقاء مع المسيحيين ويود الهرب من معاشره الكافرين واكن ليس فى تلك الارض عسل يجرى ولا ضرع يدر كما كان فى بلاد الكنعانيين بل هي صحراء ابيد الشاسعة التى اختارها السنوسى ليهجر العرب اليها بلاد الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والبوسفور ذى الرياض والمناظر ومع ذلك فالنداء يلبى كل يوم من جميع بلاد الاسلام ويقوم الوردون فى تلك الرمال من غير سخط ولا ضجر كما ترك بنو اسرائيل مصر فى غابر الازمان وما منهم من يأسف على الكسكسو الذى كان يأكله بنهمة تحت حكم الذى كفر وقد أخذت الصحراء

تحوّل باعمال المهاجرين ففيها اليوم آبار ونخيل ومثلهم في ذلك مثل قبائل
العباديين الذين هاجروا الى (مازاب) في الصحراء وعمروها

وفي اجتماع المسلمين الذين لم يرضهم حكمنا حول جفببوب خطر
أشار اليه وكلاؤنا في طرابلس ومن الواجب على الدول الاوروبية
ان تأخذ حذرهما منه اما الجزائر فهي ترى فيهم عدواً لها وما دام
الامر بالنظر اليها دائراً بين عدوين فهي تفضل بمد أولئك القوم لانها
تكون يبعدهم عنها آمنة مطمئنة من اعمال قوم متعصبين . ومع هذا لو قدر
لفرنسا انها احتاجت في احد حروبها الاوروبية الى الاستعانة بجيوشها
الافريقية وانتهزت احدى الدول ضعفاها في افريقيا فخرت ضد حكومة
المسيحيين طائفة السنوسى والطوائف الاخرى فانه يخشى من حدوث ثورة
تسوء عقباها في الجزائر وليكننا نرى في هذه الحالة وهي اسوأ حال يمكن
تصورها بالنسبة الى الحكومة الفرنسية ان انشقاق الرؤساء واحقاد
الطوائف تمنع الثورة من ان تمتد الى جميع ارجاء البلاد فانوضى علة الاسلام
الباطنية وهي ايضاً في الغالب علة الضعف عند جميع ولدسأم فان اسماعيل
يضرب خيامه على الدوام تجاه مضارب اخوته ولولا الانقسام الداخلى
والاضطرابات التى حدثت بين المسلمين في غابر الازمان لما نجحت النصرانية .
وهذه الاسباب نفسها تضعف العزيمة عن القيام بتوحيد كلمة الاسلام ولولاها
لما حفظت فرنسا املاكها مع ما ارتكبه من الخطأ وماتأ تيه من الاغلاط
في افريقيا الشمالية وهي املاك ستباغ بمقتضى النمو الطبيعى عما قيل عشرين
مليوناً من المسلمين

والخلاصة انه لا يخشى من ثورة عامة في الجزائر ولكن لا تزال تلك البلاد معرضة للقلقل الثانوية وتنشأ هذه الاضطرابات بغير المؤثرات الدينية فكثيراً ما تشور القبائل من نفسها ورغماً عن نصائح الرؤساء ومشائخ الطرق لانهم وافقون تمام الوقوف على ما نحن عليه من الاقتدار في كبح جماحهم ولذلك فهم لا يرمون الى حركة عاقبتها وبال عليهم وعلى التابعين لطوائفهم بل ان اكبر اسباب الثورة في الجنوب رغبة رؤساء القبائل في استرجاع امتيازاتهم لانهم من بقايا اولئك النوم الذين سادوا قديماً في البلاد وفي جهة التل ضنك الاهالي وخطأ الموظفين في اجراء مقتضى بعض اللوائح والقوانين ومع ذلك كله فانا نرى ان كل ثورة بدأت لا تلبث ان يعزوها اصحابها الى مصدر ديني فينادون بالحرب المقدسة كما ينادون باحد الرؤساء الدينيين ذوى النفوذ قائداً عاماً لحركتهم وان عارض وابي . ومن عادة تلك الحركات انها تبدأ قليلة الاهمية ولكنها تكبر شرها بخطأ الموكلين في اتخاذها ولو ان الحكومة لاحظت جانب العدل والحكمة في ادارة الاهالي والفت الامتيازات التدمية التي لرؤساء القبائل تماماً واختطت السكك الحديدية في جنوب البلاد وأصلحت من نظام الجيش لقلت حركات الثورة في بلاد الجزائر وهذا المسلمون من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى شواطئ نهر النيجر

* خاتمة *

والذى نستخلصه مما تقدم انه يجب على الدول الاوروبية التي تميل الى التوسع فى الاستعمار ان تتعرف ديانة رعاياها أو أصدقائها المسلمين كما ينبغى اذ الدول لا تزال حتى الساعة على اعتقادها الذى كانت عليه أيام القرون الوسطى وهو ان الاسلام صورة من صور الديانة الوثنية اللهم الا نفراً قليلا من المستشرقين الذين لا تأثير لآرائهم فى السياسة مع انه لو جاز عقلا ان ترتب الديانات التى دانت بها المخلوقات لوجب جعل الاسلام اولها بعد ديانة التثليث لانها أى الديانة المسيحية بلا شك ارفع منه من جهة المعقولات فلا يجوز للمسيحيين ان يرموا الاسلام بالوثنية على ما بينه وبين النصرانية من جهات الاتفاق حتى صحح (لخناماسين) ان يقول انه بدعة مسيحية نعم لا يقول المسلمون بالوهية ابن مريم ولكنهم يجعلونه كأكبر الانبياء (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) ويمترفون بأن مولده من المعجزات (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً قال انما انا رسول ربك لا هب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لى غلامٌ ولم يمسنى بشرٌ ولم أكُ بغياً قال كذلك قال ربك هو على هينٌ وانجمه آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت

يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناداهم من تحمها أن لا تحزنى قد
 جعل ربك تحمك سر يا وهزى اليك يجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً
 فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احداً فقولى انى نذرت للرحمن
 صوماً فان اُكلم اليوم انسياً فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً
 فرأيا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً فاشارت اليه
 قالوا كيف تكلم من كان فى المهيد صبياً قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى
 نبياً وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً
 بوالدى ولم يجعلنى جباراً شقياً والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم
 أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله ان
 يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون) كذلك
 يمتدنون ان جبريل هو الملك الذى نزل بهذه البشرى كما انه هو صاحب الوحي
 بالقرآن ويكرهون اليهود لانهم اضطهدوا المسيح وأرادوا ان يقتلوه ولا
 يمتدنون بموته كما تدل عليه آية (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول
 الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لى شك
 منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله
 اليه وكان الله عزيزاً حكيماً) وقد التفت الامير عبد القادر الجزائرى
 الى ما يوجد بين الدينين من التقارب فقال له امكان التوفيق بينهما
 وكان من ذوى المدارك السامية قال لو اصغى الى المسلمون والمسيحيون
 لأزلت من بينهم موجبات التنافر ولأصبحوا اخواناً فى الظاهر والباطن
 وكان يشبهه الانبياء الثلاثة الذين قالوا بوحدة واجب الوجود بثلاثة

أخوة من أمهات متفرقة (راجع كتابه نداء الغافلين) وإكنا لانتمى النفس بتحقيق ما خطر ببال ذلك الأمير فإن الاحقاد التي تتولد بين اعضاء العائلة هي التي لا مرد لها والتشابه بين بعض القواعد لايسد ذلك الخرق العظيم الذى انفرج بين المسيحيين والمسلمين فتد يجوز ان يقلع المسيحيون عن تجهلهم للاسلام ويعترفون بانه دين قريب من دينهم ولكن المسلمين لن يقبلوا ان يكون معنى التثليث غير تعدد الآلهة ولا يعتقدون بان خطأ آدم هو رأس خطايا بنيه وانه السبب فى ذنوبهم ولا يقولون بان المسيح تجسم فى صورة الانسان ولا بانه افتدى النوع البشرى بنفسه ويقول جميع علماء التوحيد عندهم أن جعل المسيح ابن الله لا فائدة فيه ان كان الوالد والولد الهاً واحداً ومتناقض ان كان كل إلهاً قائماً بذاته على ان علماء اللاهوت من المسيحيين مختلفون فيما اذا كان التجسم يحصل لولا خطيئة آدم . كذلك لا ينبغي لنا ان نعلق الآمال بالوصول الى تحول رعايانا المسلمين فى الجزائر الى فرنساويين بل يجب علينا أن نجتهد فى ان نعيش معهم على ما يلزم من المسالمة والمواذعة وهو حل سهل بسيط لست ادرى لم اهمله الباحثون وقل الاقبال عليه كما اننى لم أقف على السبب الذى دعاهم الى الحكم بانه ليس لمسلم الجزائر الا ان يتحول أو أن يفنى وفى الواقع أن فرنساويين يفرحون بالتحول لكونه يلائم ميلهم الى ايجاد الوحدة فى كل شىء فكل موظف من فرنساويين يحلم ان تصير مدينة الجزائر مثل باريس مع ماهى عليه من اختلاف ارضها ومناخها وسكانها ولذا اعتادوا على ان يعدوا من التقدم صيرورة بعض القرى مختلطة وتحولها بعد ذلك الى بلاد لا فرق بينها

وبين البلاد في فرنسا وهي ملاحظات تافهة تمنع الناس من الوقوف على حاجات الجزائر الحقيقية اما منح الجنسية الفرنسية للاهالي فانه لا يفيد الا في بعض الشؤون الادارية المحضة ذلك لانه يجب بعض تغيير في الصورة ويسمح للتقارير الرسمية بتجسيم الاعداد ولكنه لا يجعل الجزائريين وطنيين فرنساويين ومع ان معاهدة الجزائر لا تسمح لنا بايجاد جنسيتنا عليهم فنحن لانفتأ نعرضها كأنها امتياز يختص به قوم دون آخرين وكاننا نظن ان المسلمين يعتبرون من الامتيازات ما يحول بينهم وبين العمل بمقتضى ديانتهم ومع هذا يرى موسيو (روسيل) ان في تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية حلاً للمسألة وان الاختلاط يحصل مع الزمن فيتحول السواد الاعظم حتى يصير فرنساويًا وتضيق البلاد على من يخرج عن الجمهور لتغيرها وتحول نزعات الاهالي فيضطرون الى الهجرة جنوبًا ويخلفهم قوم آخرون أرفع شأنًا وأعلى مكانًا وعندى ان هجرة القبائل الى الصحراء جنوبًا وهم باطل كالقول بان كان مضايقة الجزائريين فيزحون عن البلاد رويدًا رويدًا اما انقراض الاهالي شيئًا فشيئًا كلما دخل التمدن الاوروبى بلادهم فنحن لانصدقه إلا قليلا لان احتكاكهم بالمتدنين ربما قلل من وسائل العيش لديهم ولكنه لا يؤثر في وجودهم بل لا يزالون يتناسلون أكثر من الاوروبيين ونضيف على ذلك ان المسكرات التى استعملها الاورباويون للتعجيل على وجود بعض الامم المغايرة لهم لا تؤثر عند أهالي الجزائر لكونهم يعقنونها مقتنًا شديدًا

اذن يجب علينا ان نعيش في الجزائر بجانب سكانها وفاقمها الاقدمين

وان تقلع عن التطلع الى التحويل أو التجنيس فكلاهما وهم وخيال ولا خوف من هذا بل الخوف يأتينا اذا أوجبنا عليهم التجنس بجنسيتنا فنالوا مالنا من الحقوق السياسية . ولو تنزل حكمانا الى تعرف امة الجزائر التي يجهلونها أو يعرفونها على غير الواقع وعملوا على مرضاتها ببعض ما تميل اليه وتخفيف شيء من أثقالتها لانتفى الخوف منها وزال خطرها وتصير أعظم مساعد على الاستمرار ولرب . مترض يقول ان تلك سياسة مبهمه فنحجب بانها كذلك وهو مقصود لان السياسة المرتبة على قواعد ثابتة وأصول معروفة من قبل أضرت بالجزائر أكثر من سياسة التجارب بحسب الظروف والاحوال غير انه يجب مع ذلك ان تبني السياسة المطلوبة على مبدأ واحد يتخذ أساساً لها وهو أن تكون مضادة لليهود على خط مستقيم فني ذلك ضمان السلام والامن في تلك البلاد لان ما أتاه موسيو (كرميو) من جعل اليهود كلهم في الجزائر رعايا فرنسا وبين كان شؤماً على الدوام وما شؤمه آت من ان العرب اشمزت لحصول اليهود على ما لم يحصلوا هم عليه كما ذهب البعض بل هو آت من ان ذلك العمل أوجب اطلاق السراح لقوم يرى العرب انه كان من الواجب بقاؤهم تحت سيطرتهم وخالف ما في نفوسهم من عظيم الاحتقار لليهود ومكن هؤلاء من الانتقام على ما أصابهم من المسكنة في سالف الازمان اما العرب فهم يأنفون من التجنس بالجنسية الفرنسية ليكون ذلك يلجئهم الى ترك دينهم كما قلنا ولكنهم يفضوننا لانا منحنا هذا الامتياز لاناس اعتادوا أن يروهم دون اقدامهم ولقد وصل تفطرس اليهود اليوم ان لم نقل وقاحتهم الى حد في

الجزائر بحيث صار الخصام قريباً بين الفريقين فالمسلمون لا يطيقون احتمال ما احتمله المسيحيون وقد ازفت الساعة التي يقومون فيها جمعا ليعيدوا بني اسرائيل الى ما كانوا فيه من الخضوع والامتهان ويكون الوقت قد فات لارجاع اليهود الى ملتهم وقد لا يسلم المسيحيون من محن الجزائر ولقد نستخلص من ابحاثنا هذه أمراً آخر بالنظر الى سياستنا في افريقيا الوسطى وهو أمر سهل النوال ذلك اننا لانشير على فرانس بالتحالف مع المسلمين وان كانت هذه هي السياسة التي رآها فرنسوا الاول ولكننا نرى انه يجب عليها معاملة الاسلام في افريقيا بما يسعها من المحاسنة والتجمل فقد رأينا قبائل الفولبوسيين والخواصة اوصولوا نفوذهم الى تلك الاقطار الشاسعة التي تكتنف املاكنا في الكونغو فساروا سيراً متتابعاً من شادوا الى خط الاستواء وادخلوا الاسلام اينما حلوا ومن الصعب علينا ان لم نقل من المستحيل ان نوقف تيار هذه الحركة العظيمة فلنجهدهم في الانتفاع منها بقدر الامكان ولنمنع من التداخل فيما يحصل بين الأمم الاسلامية والوثنية من الانحلال والتكوين بل علينا ان نراقب هذه المعامع بين تلك الشعوب ولنترك الفولبوسيين يختطون من البربر ممالك على النسق الفطرى القديم ولنحذو حذو سلاطين المسلمين فنضيف حمايتنا الى حمايتهم على اولئك القوم المنحطين ولنحذر على الخصوص من الوقوع في خطأ سياسة الاستعمار وهو اعتبار دائرة النفوذ مجالا للكسب والاعمال ولوعارض قوم بانه لا ينبغي ان يكون هذا شأن فرانس المسيحية وانه يجب عليها ان تمنع جهدها انتشار الاسلام حول املاكها في افريقيا التحصنت في الرد عليه برأى

الكاردينال (هرجوتر) وهو ان تاريخ الكنيسة يعتبر ان فناء الامم الوثنية في الامم الاسلامية من المقاصد الالهية المحتمة قال الكاردينال (على الاسلام ان يهيء الامم العربية في التمجيد وخصها الامم الافريقية الى التمدن فانها بما فطرت عليه من الانحطاط في الادراك وما تعودته من الشهوات محتاجة الى التحول عن الوثنية الى الاسلام ليتسنى تحويلها من الاسلام الى النصرانية لكن أنى لنا في الوصول الى نقل تلك الامم من القرآن الى الانجيل وكيف يمكن ان يصير الوثنيون عباداً للمسيح بعد اعتناق الاسلام وهو الدين الذي يتمكن من القلوب فلا يفارقها هنا يختلط علينا المقصد الالهى فلا ندرك مرماه على انه لو لم يكن للاسلام من فائدة الا تحويل عبدة الاصنام من وثنيين الى موحدين وترقية اخلاقهم وملكاتهم لكفى بذلك داعياً الى معاملته بسياسة التلطف والاعتدال جرياً على قاعدة العمل بأخف الضررين

ملحقات

﴿ الملحق الاول ﴾

افكار المسيحيين في القرون الوسطى بالنسبة للنبي
والدين الاسلامي

لو اردنا ان نكتب كل شيء في هذا الموضوع لوجب ان ننشىء بابا مطولا حتى نستوفيه حقه لانه مع اهميته لم يلتفت اليه أحد من الكتاب واذا قارنا بين ما كتبه كل فريق منشوراً في الكتب ومقاله الفريق الآخر يمكننا ان نفهم السبب في ذلك التخيل الغريب الذي تخيله القصاصون بل والمؤرخون عن الدين الاسلامي فجميع ما تصوروه في تلك الاعصر يشتمل على بعض الافكار وان ظهر لنا انه خال عن المعنى

وذهب موسيو (بيجونوا) الى ان السبب في كثرة الاقاصيص والحكايات الخرافية التي ابتدعت عن الهة المسلمين هو تشعب طوائف ذلك الدين وهو تمليل غير مقبول لان تلك الطوائف لم تغير مطلقاً في مبدأ القرآن وهو وحدانية الخالق وما كانت الامذاهب لكل نظر مخصوص في بعض مسائل التوحيد والمقولات كالبحث عن ذات الله وكون القرآن قدبما أو حادثاً والاختيار في الانسان وغيرها وهي مسائل لا يشتغل بها القصاصون والشعراء

ولست أريد ان أبين في هذا الموضع ما كان الناس يعتقدون فيما نسبوه

الى المسلمين من التماثيل والاولثان مثل (ماهومد) (وابوللون) و(ترافاجان) و(نوران) و(مارجو) وغيرها وانما اردت ان اجمع بعض ما كتب في تلك الازمان من المقتطفات التي يقف القارىء بواسطتها على افكار اجدادنا في الاسلام ونبيه وهى افكار من الغرابة بمكان حتى ان من لا يهيمه مثل هذا الموضوع يرتاح لتلاوة هاتيك القصص والاشعار مما ينسى معه الموضوع الذى كتبت فيه

فمن تلك المقتطفات ماشاع في جميع الازمان عند الفرنسيين حتى قبل الحروب الصليبية من ان النزاع بين النصرانية والوثنية (يشير الى الاسلام) يفضى الى حرب عجيب في بابه وقد جعلوا لذلك الحرب أشكالا متنوعة نتيجتها كلها استظهار المسيحي على الوثني ووصفوا تلك الحروب باوصاف مختلفة تتناوب فيها الضربات وتنثى الاجسام تحت السياط وتبادل النبال ويحتمد القتال الى ان ينتهى بضربة عاتية وهجمة قاسية فينفذ السيف في الاجسام وفي اثناء هذا الحرب العوان يتناقش الخصمان في علم اللاهوت الاعلى وكل يقدم دليله الاقوى ويقابلان بين دين المسيح ودين محمد ويميل الواحد منهما الى افئاع الثانى بصحة دينه وصدق ايمانه ومن هذا القبيل ماجرى بين (غليوم دورانج) المسمى غليوم ذا الانف القصيرو (فرصوط) المسلم صاحب الطول الهاشمى وهو بيت القصيد في رواية تنويج الملك لوبز وهو ايضا قسم من قصة مطولة يقال لها قصة (غليوم دورانج) وتحتوى على ثمانية عشر فرعاً وعدد ابياتها مائة وسبعة عشر الفاً وثلاثمائة وفيها وصف المسلمين واخلاقهم ودينهم

ذكر صاحبها ان الملك شارلمان ارسل غليوم في امر الى البابا فذهب الى رومه في اربعين فارساً وبينما هو يزور قبر القديس بطرس القريب من قبر (نيرون) وهو أحد آلهة المسلمين في بعض القصص انتشر خبر قدوم المسلمين بعد انتصارهم في (١ يوليه) فحزن الناس اجمعون وجمع البابا على عجل جيشاً اسلم قيادته الى غليوم وعماد قليل اقبل جيش المسلمين حتى صار على ابواب المدينة فتقدم جيش غليوم نحوه واصطف الجيشان للطمان والضرب والنزال ثم تشاور الرؤساء في أمرهم وقرّ قرارهم على ان يقتتل الرئيسان والفريقان يشهدان فن غلب جيشه الظافر وكان خصمه هو المكابر والكافر. هنالك برز الفارسان وسط الجموع وشخصت نحوهم الابصار وجعل الشاعر يقص ما كان من أمرهم بكلام يشغل الافكار ووصف يستوقف الابصار فاذا ارتعدت فرائص غليوم ضج المسيحيون وهاجوا وانهاه البابا ونزل بقلبه الهلع الاكبر وصاح المسلمون باصوات الفرح والتهليل واذا اصاب قرصوط جرح من خصمه اتقلب الفرح بكاء وتبدل الحزن ابتهاجاً قال وكان قرصوط لا بسأدرقة من الزرد مقلداً بالفولاذ مستعلياً ظهر جواد الله اكبر ما اعظمه واما غليوم فلم يشأ الشاعر ان يصف لنا لباسه وعدته بل ذهب الى ان البابا حضر اليه أثراً من آثار الرسول بطرس وهو ذراع له محفوظ في غمد ثمين ثم أخرجه من غمده وسلمه اليه فجعل يمس به جميع اعضاء جسمه الا نصف انفه ثم تقدم قرصوط نحو خصمه فلما رآه غليوم مقبلاً ترجل عن جواده وجعل ينشد الاشعار ويقص التاريخ والاخبار الى ان وصل الى خلق الليل والنهار وكيف تكونت الارض والانهار وارتفعت

السَّمَوَاتِ عَنِ الْبَحَارِ وَاسْتَمَرَ الشَّاعِرُ يَرُوي هَذَا الْخَبْرَ حَتَّى كَتَبَ ثَمَانِينَ
يَبْتِغًا مِنَ الْأَشْعَارِ ثُمَّ اتَّعَى بِالْتَضَرُّعِ إِلَى الْمَسِيحِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ صَاحِبَ أَنْتِكَ مَت
ثُمَّ حَيِّتْ فَاحْفَظْ غَلِيُومَ وَلَكِنَّ الْهَاشِمِيَّ رَأَى الدَّمَاءَ طَوِيلًا فَسَأَلَ خَصْمَهُ
عَنِ السَّبَبِ وَهَنَالِكَ رَأَى النَّاسَ الْعَجِبَ وَصَارَ كُلُّ يَنَادِي بِالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ
وَيَسْتَنْزِلُ فَوْقَ رَأْسِ عَدُوهِ عِظَائِمَ الْأُمُورِ ثُمَّ طَلَبَ إِلَى غَلِيُومَ أَنْ يَعْرِفَ عَنْ
نَفْسِهِ فَاطَالَ الْجَوَابُ فِي ذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَالْقَابِهِ وَأَسْمَاءِ عَائِلَتِهِ وَنَعْوَتِهَا وَفِي بَيَانِ
حَرْبِهِمْ وَمَا فَعَلُوا وَأَنَّهُمْ فَتَكُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَالسَّلَافِينَ وَخَتَمَ جَوَابَهُ بِقَوْلِهِ فَمَا
بَلَّغُوا شَأُونَنَا وَمَا كَانُوا قَطُّ مِثْلَنَا فَغَضِبَ قِرْصُوطُ وَجَمَلِقُ بِعَيْنِهِ وَحَرَكُ
حَاجِبِيهِ وَجَمَلَ عَلَى خَصْمِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ وَقَوْلٍ ثَقِيلٍ ثُمَّ جَعَلَ يَمَجِّدُ اللَّهَ وَيُسَبِّحُ
عَلَيْهِ وَيَسْتَنْزِلُ مَعُونَتَهُ وَيَكِلُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ اشْتَبَكَ الْقِتَالُ وَابْتَدَأَ
الطَّعْنَ وَالنِّزَالَ وَكَلِمَاتِ السَّوَاعِدِ قَامَتِ قِيَامَةُ الْجِدَالِ وَتَوَالَتِ الْحُجُجُ
وَالشَّوَاهِدُ وَفِي أَحَدِي هَذِهِ الْفَوَاصِلِ جَعَلَ غَلِيُومُ يَبِينُ لَخَصْمِهِ حَقُوقَ
الْمَلِكِ شَارِلْمَانَ عَلَى (رُومَةَ) وَ (تَوْسَكَانَ) وَ (كَالَابْرَهَ) وَيُشْرِحُ لَهُ سَيَادَةَ
الْبَابَا السِّيَاسِيَّةِ ثُمَّ جَمَلَ عَلَيْهِ قِرْصُوطُ فَكَادَ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ وَانْحَلَمَتِ
قُلُوبُ النَّصَارَى وَضَاعَفُوا الدَّعَاءَ وَالْإِهْتِهَالَ وَرَفَعَ الْبَابَا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ طَالِبًا
أَنْ يَعُودَ غَلِيُومَ إِلَى رُومَةَ سَالِمًا غَانِمًا فَاشْتَدَّ سَاعِدُ رِجْلِهِمْ وَفَوْقَ إِلَى قِرْصُوطُ
طَعْنَةً فِي صَدْرِهِ نَخْرَجَ السَّيْفُ يَلْمَعُ مِنْ ظَهْرِهِ قَالَ الشَّاعِرُ وَلا كُنْهُ مَا بَرِحَ
مَالِكًا لِقَوَاهُ وَلَوْ كَانَتِ الضَّرْبَةُ فِي غَيْرِهِ لَاعْدَمَتَهُ الْحَيَاةُ وَلَمَّا أَحْسَسَ بِالْأَلْمِ انْحَاذَ
إِلَى جِهَةِ وَجَعَلَ يَفَكِّرُ فِي الذَّمِّ خَطَّ الْقَلَمِ وَأَمَّا غَلِيُومُ فَرَجَعَ إِلَى الدَّعَاءِ
وَالِاسْتَنْجَادِ وَعَادَ إِلَى خَلْقِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ وَذَكَرَ الْمُهَيِّدِينَ الْجَدِيدَ وَالْقَدِيمَ

ودخول عيسى أورشليم ونجاة يوحنا وتنصر بولس الرسول وتوبة (مادلين) وبعد ذلك رجع البطلان يقتتلان فمناول قرصوط خصمه ضربة بسيفه البتار أطاحت نصف أنفه فغاب عن الابصار هنالك يئس النصارى واصبحوا في أمرهم حيارى وسال البابا ربه أن يمين شجاعهم وان يجفف دموعهم ويهدئ الناس يصيحون وبالدهاء الى الله يتضرعون اذ سكت الجميع لهول موقف المتحاربين وقد حان الحين وزعق غراب البين وحمل الهاشمي على خصمه وناوله الضربة فمال عنها وارتمد اليه بمثلها أطاحت رأسه وسال الدم فسكن العدو رمسه وصاح غليوم مستنصراً لقد أخذت بشار أنقى واحتاط به اهل رومة وهنأوه وجاءه الاشراف من قومه ليسألوه عن صحته وسلامته

ومن المقتطفات قصة (فارس البجعة) ويقال انها اول قصائد الحروب الصليبية وهي (لخنارونو) الفها في القرن الثاني عشر ومدارها على ان والدة (قربران) ملك أورشليم ذهبت الى القرشى محمد لتستطلع الاخبار فنبأها بحضور الصليبيين وان أورشليم تقع في يد (جودفرواد بويون) وقد نشرت هذه القصة أول مرة في بروكسل سنة ١٨٤٦

ومنها قصة الاسرى وتعزى الى غليوم التاسع امير (بواتيه) الفها في القرن الثاني عشر ومبناها ان (ريكاردو كومون) تقابل مع رئيسين من رؤساء المسلمين هما غلياس ومورغالى أى الامير خالد فقتل غلياس وجرح مورغالى جرحاً بليغاً فاقر بانه غلب وطلب من ريكارد ان يعمده ثم يجهز عليه بقطع رأسه

﴿ قصة فتوح أورشليم ﴾

رأى جودفروا في السهل كوكبة من الفرسان فانقض عليها فلما قرب منهم سأطهم ان كانوا مسلمين أو نصارى قائلا ياهؤلاء أي القوم أنتم تؤمنون بالله العظيم ابن مريم قدس اسمها صاحب الشرف الاعلى شديد القوى أم تؤمنون ببوللون وماهون وترافاجان أولئك الاصنام فبجت سيرتهم الذين يعبدهم الاعجام . وجاء فيها ان اثنين من قواد المسلمين اسرا اثنا حصر المدينة فحاول جودفروا أن ينصرهما وان (صوقومان) سلطان المسلمين جرح جرحاً بليغاً فصار يستغيث بمحمد وبوللون

ومن القصص التي ملأت الاسماع في كل زمان ان محمداً لما مات وضع في صندوق وكانوا يعتقدون ان ذلك الصندوق من المغناطيس الاصيلي وانه معلق بين الارض والسماء تحت قبة مغطاة بالحديد والامير يحرسه بمائة وخمسين الف فارس وان (صودان) يراد به السلطان أي ملك المسلمين طلب من الخبر بطرس ان يعتنق الاسلام والخبر اظهر انه يميل الى ترك النصرانية فامر القائد باحضار الصنم محمد ليسلم امامه وان جودفروا اسر أحد القواد وطلب منه ان ينصر فابي وقال انه لا يعبد إلا مشنقته اليهود

﴿ قصة بودوان دوسبور ﴾

وهي من منشئات القرن الرابع عشر وفيها خروج الكونتس دي يوتيو وهي أول ماجاء في قصة صلاح الدين وانها صارت زوجة له وولدت منه ولدًا هو ذلك صلاح الدين الشهير الذي كان الطامة الكبرى على النصرانية وانها استولت عليه وصارت صاحبة الكلمة النافذة عنده بما اتخذته معه

١٤ - الاسلام

من الحيلة والملاطفة وهي التي طلبت منه أن يسمح بحضور أخيها الكونت دي بونتيو وتهدت له انها تحميه على ترك النصرانية فاجاب سؤالها وقد حكي الشاعر سفر الكونت طويلا

وأما صلاح الدين فذكره موجود في جميع أناشيد ذلك العصر بالفرنساوية واللاتينية وتراه في احدى الروايات يتناقش في الديانات واعظم عيب عاب به النصرانية عبادة البابا ومسئلة الاعتراف وفي رواية (جيل دو كوريل) لولا ما شاهدته صلاح الدين من اختلال حال القسس لاعتنق النصرانية وكتب طيب الملك (فيليب وغوست) هجوا مؤلفاً في هذا الموضوع ضد القسس سماه الطب المقدس للقسس .

« ومنها »

قصة شاعر ريمس - يؤكد هذا الشاعر ان صلاح الدين اعتنق النصرانية في مرض موته وقص قصته طويلا وعزاها الى عم ذلك الملك
« ومنها »

قصة المرور في الارض المقدسة - وهي لمانويل الكندي يقول فيها انه اقام أياما بمصر وفي بعض مدن الوثنيين الاخرى يعني المسلمين وخالطهم كثيراً وكان قومه يعتبرون رأيه في المسلمين ودينهم قال لما كانت الصدف تجمعي برجل منهم لم يكن ذا شر وضر كنت أتجاسر على سؤاله عن الاسلام وهلا نزل فيه شيء من التعاليم النفسية فكان يقول لي لم يأتنا بشيء من ذلك بل كله متعلق باللذة الجسمانية ولذلك يسمى بدين الجاموس والجمال وجميع الحيوانات الاخرى وقد حكي هذا المؤلف سبباً غريباً لتحريم

المشروبات الروحية فذكر ان محمداً خرج من مكة في نفر من أصحابه الى المدينة وكان معه راهب يستشيره على الدوام فلراهب يميل به الى الديانة المسيحية واخصاؤه يميلون به الى الدين الاسلامي وكان النبي أكثر تعلما بالراهب فغضبوا غضباً شديداً وفكروا في الذي يفعلون وكانوا ينامون خارج مضرب اختص هو به مع الراهب فاتفق ذات يوم ان محمداً ذهب الى حانوت خمر وشرب كثيراً حتى أتى نشوان ونام فاجمعوا أمرهم على قتل صاحبه ودخل أحدهم واستل سيف النبي من غمده وقطع به رأس الراهب ثم أرجعه مكانه وانصرف ولما أفاق محمد في الصباح ورأى صاحبه مقتولاً أخذته الغضب جداً وشد في معرفة الفاعل فقالوا له انك ذهبت بالامس فغبت عنا طويلاً ورجعت سكران فاخذت سيفك بيمينك وقتت بيننا متهيجاً فظننا انك تريد قتل واحد منا وخشينا ان تقرب منك ثم عمدت الى الراهب فقتلته وارجعت سيفك الى غمده في الحال وهو لا يزال مخضباً بالدماء فاعتقد صحة ما قالوا وحلفوا جميعاً انهم لا يشربون الخمر أبداً ومن هنا حرم الخمر خوفاً لا تعبدوا وهم اي الوثنيون (يعني المسلمين) اينما وجدوا الخمر يفرقون فيه وهكذا انصرف محمد عن المسيحية ومال الى تلك الديانة البهيمية

« ومنها »

قصة الغزوة الكبرى - وهي المجهول وعنوانها (محمد والحيل التي استعملها ليغش العرب والبلاد الأخرى) وقد جاء فيها وصف النبي وبيان حاله على ما كان مفتقداً في تلك الايام قال المؤلف ظهر محمد في زمن الامبراطور

هيرقليوس وهو مبتدع كذب خوان تظاهر بالزهد والتقشف في المعيشة وادعى انه نبي مرسل من الله فافتنت به العرب ثم الاقاليم الشرقية الاخرى ولكي يجعل له ذكراً دائماً ويخلد اسمه ويوسع نطاق مملكته ويديم عمله الشيطاني وينشر دينه الطاعوني قرر انه ليس من حاجة بمده لواعظ أو مرشد في الدين وجعل قاعدته استعمال السيف كمن يهزم جواداً استعد من قبل الى العدو وبذلك أدخل أمماً كثيرة في مذهبه وقد كانت عدواه أشد مصيبة من عدوى المسيح الدجال ولن ينمحي أثرها الا اذا عظمت قوة الامبراطور وأمكنه ان يأمر قومه بالتمسك باهداب النصرانية والاعاقبهم بالاعدام ثم انتهى بهم الحال أي المسلمين قترفوا عن الرجوع الى الحق ولم يمتلكوا أوامر الخالق المعبود .

(ومنها)

قصة جيبيير دي نوجان - وهو مؤرخ الحرب الصليبية الاولى وقد نقل في تاريخه عن قومه افكارهم وآراءهم في محمد والاسلام قال تعقد الامة انه ظهر في غابر الازمان رجل اسمه محمد أضل الناس عن الاعتقاد بالابن وروح القدس وعلمهم ان كل شيء آت بقدره الاب الله الواحد الذي خلق الخلق وان عيسى لم يكن الا بشراً ومن فروض دينه الختان فارخى بذلك للناس عنان الفحش وقلة الحياء ولا أظن ان ظهور هذا اللعين كان في زمن بعيد عنا لانني لم أجد رجلاً واحداً من رجال الكنائس تعرض لرد مذهبه الدنيء، ولم اقرأ في كتاب شيئاً عن حياة ذلك الرجل وكيف كان يعيش ولذلك أراني مضطراً الى الاخذ عن الذين سمعت ذلك منهم ومن التافه

ان نبعت عن معرفة صحيح هذا التاريخ من فاسده اذ غرضنا ان نبين
 كيف انه كان عظيما وكم من حادث عظيم خلد له ذكره الكاتب في امان
 من الخطأ ان أساء القول في رجل فاق شره وصف الواصفين
 (ومنها)

قصة الحرب الصليبية الاولى - لمؤلفها (تويوف) وقد اتى بها رجل
 مجهول وفيها يذكر ذلك المجهول دخول الصليبيين الى اورشليم وأول من
 دخلها هو (تنكريد دي سيسيل) وكان أول همه ان اسرع الى المعبد فدخله
 ثم جعل المؤلف يصف اندهاش القائد لما رأى ان صورة محمد موضوعة
 مكان صورة المسيح قال المؤلف ثم فتحت ابواب المعبد وكان اول من دخله
 تنكريد فرأى صنم محمد من الفضة وهو مصبوب وموضوع على قاعدة
 مرتفعة ثقيلة الوزن بحيث لا يحرکه ستة من الاقوياء الا بالمشقة وقلما يكتفي
 عشرة رجال لحمله فامعن تنكريد النظر فيه وصاح باللعار ما معنى هذه الصورة
 التي أراها موضوعة في هذا المكان الرفيع وما المراد منها وما تلك الاحجار
 الكريمة وما هذا الذهب الوهاج وهذا الارجوان (لان محمداً كان متقلداً
 جميع حلاه) أهذه صورة المسيح كلا لان المسيح لما صلب على الخشبة كانت
 رجلاه ممسوكتين بالمسامير وضرب بالرمح في جنبه اذن هذا ليس هو
 المسيح ان هذا الا المرذول محمد أول اعداء المسيح وهو المسيخ ولقد كنت
 اتنى أن المسيخ الثاني الذي قيل بانه سيظهر في مستقبل الايام يكون بجانب
 هذا الادوسهما تحت اقداسى واكرباه هذا محمد المعبد في الجحيم كيف
 يظهر عليه في هذه الصورة انه صاحب الامر في بيت الله كيف يكون لعبده

(براطون) وجود في معبد الرب كما لو كان هو الرب ثم التفت الى جماعته وقال لهم هيا اصعدوا من فوركم فالقوه في الحضيض فلقد اراد الله ان يكون كما اشرت لانه قائم امام الناظرين بوقاحة كأنه يريد ان يقوم مقام الله فانقضوا عليه وجذبوه وقلبوه وهشموه وجعلوه ارباباً وقطعوا ذلك المعدن الثمين في ذاته الخفير في صورته فصار ثميناً بعد ان كان حقيراً وكان على جوانب المعبد عصابة من الفضة الخالصة وضمت تمجيداً للمحمد عرضها اذراع وسبكها كالاصبع وزنتها سبعة آلاف مارك ورأى تنكريد بحكمته ان لافائدة في بقاء هذه الفضة بغير استعمال فكسى منها الفقراء واطعم الجياع وسلح جنداً جديداً فزاد في قوته ويوجد في المعبد أيضاً خمسمائة حوض من الفضة كانت مخصصة كلها لخدمة ذلك الصنم فيها كثير من آنية الفضة المختلفة الاشكال فاخذها تنكريد وكانت حيطان المعبد مغطاة بالأحجار وبعضها بالذهب والفضة فنزع تنكريد كل ذلك وجلبه الى بلده ثم استخرجت الاشياء الثمينه التي كانت مدخرة منذ زمن طويل وعرضت على الناس وبعدها سلمت الى تنكريد

ومنها ❁

فصة سفر (لودوف دي سودهم) الى الارض المقدسة - الفت سنة ١٣٤٢ ميلادية ولودوف سائح الماني جاء في رحلته عن محمد والمسلمين ما يأتي اعلموا انه في سنة ٦٢٠ من تاريخ الرب جاء الشيطان باذن الله ونشر بدعة الحمديين بالطريقة الآتية فالولاقين الخبر مرجيوس الذي كان من طائفة القديس (بنوا) وطردها منها لاعتناقها بدعة (نسطريوس) وبعده ان فتنه

انفذه الى مقام الملك في رومة لينال بعض الوظائف الدينية ولما لم ينل مراده
ويئس من النجاح قفل الى بلاد العرب ونزل في بني هاجر وهم بنو اسماعيل
الذين سموا أنفسهم (سراًزيين) تفاخراً بساره التي كانت بنت اسماعيل
واكن هذا الاسم لا يليق بهم ويجب ان يطلق عليهم عنوان (لماغومدين
أى المحمدين) تبعاً لاسم ماغومد الذي اغترت به تلك الطوائف الخشنة
التي تسكن الصحراء ولما صار سرجيوس المذكور في تلك البلاد وجد رجلاً
جاهلاً احق اسمه ماغومد واثر عليه حتى اعتقد في نفسه انه نبي ووضع له
بعض البقول في اذنه اليمنى وعلم حمامة فصارت تأتي كل يوم فتقف على
كتفه وتلتقط الحب منها ثم جعل سرجيوس يدعو في الناس بان الله اختار
نبي هاجر وكانوا في ذلك الحين أحقر الامم وأرذلهم واراد ان يخرج من
بينهم نبي الانبياء وان روح القدس سيناجيه امام الناس في صورة حمامة
فصدقوا ولما صار ماغومد وسطهم أطلق سرجيوس الحمامة وكانت على سغب
فطارت الى كتفه وجملت تلتقط الحب من اذنه فإشار اليه سرجيوس انه
هو النبي المرسل من قبل الله لأمته ولم يكن أحداً ما يعرف ماغومد وهو
نفسه ما كان يعرف عائلته بل وجدوه لقيطاً في الصحراء فأواه بعض
الاغراب وربوه حتى صار من رعاة الابل ولكونه كان مجهولاً عند الناس
ظنوا انه نزل من السماء

ثم انتشر صيغه جداً حتى صار الناس يفدون عليه في كل يوم من
اقاصى البلاد وعند ذلك اجتهد سرجيوس في اقناع امرأة من العرب اسمها
(كندو كاجيا) (خديجة) فتزوجت ماغومد واستعمل ماغومد اللفظة

والنفس حتى اخضع الامة بتماها لسلطته ثم أصابه داء الصرع انتقاماً من
 عند الله وكان كلما يقتابه الدور يقول ان السبب في تألمه ناشئ من محادثته
 مع ملك من الملائكة ومن ذلك الحين أخذ في سنن القوانين المنجسة
 وتأليف الكتاب المسمي التريان (القرآن) فكتبه هو باملاء سرجيوس
 لانه كان مجرداً عن كل تربية وتعليم . وهذا ما كتبه في أول ذلك الكتاب
 التريان بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الامة الذي أوجدنا وهدانا
 الى الطريق المستقيم الا الذين غضب عليهم فجعلهم من الملعونين قال الراوى
 ونقل محمد في هذا الكتاب كثيراً عن كتاب موسى والانجيل وترجم
 كثيراً من نصوصها باللفظ مع ان معانيها خفية مجازية وفيه كثير من
 التشبيهات الفارغة التي لا يمكن تصورها فمنها ما كتبه عن المسيح (نحن
 نعلم جيداً من هو عيسى ابن مريم الرجل القديس الذي خلق من روح
 القدس في احشاء امه وجاء بالكتاب للنصارى وكما انه نسخ شريعة موسى
 في اليهود فقد بعثنا الله لنصالح شريعة عيسى) وجاء فيه أيضاً (ان اليهود
 صابوا عيسى ولكنه لم يتألم في الحقيقة وان حياته بعد ذلك مخترعة
 والماغومديون يعتقدون ذلك)

وفيه أيضاً (ان عيسى ليس ابن الله ولكنه رجل صالح رفع الى السماء
 ودرجته فوق جميع الناس الا ماغومد كل هذه في التريان)
 وعلى هذا يعتد الماغومديون في الله القاهر وفي كتابه وفي ماغومد
 وفي القديس مخائيل (ميكائيل رئيس الملائكة) الذين يترفون اليه ليلا
 بذنوبهم في الجبال ولهم خمسة أعياد يصومون فيها الى المساء ولكنهم

يسترجمون جميع قواهم في الليل وهكذا يفعلون في كل صوم ولهم عيد سادس
جمعـ لوه للشعري اليمانية التي يعبدونها أيضاً ويختنون ولا يأكلون لحم
الخنزير كاليهود ويكتسون ويحلقون ويركعون كالرهبان ويجوز لهم سبع
من النساء بل أكثر من ذلك ويطلقون من لا يريدون من بينهم كالوثنيين
ولذلك فكثير منهم يقتلن بعضهن بالسم لحقدهن وغيرتهن وفي الرجال
حدة وشهوة يأتون الذكر وليس في قدرتهم ان يقوموا بواجب امرأة
واحدة ومع ذلك يتزوجون بعدد كثير ولذلك فهم في الغالب يموتون بالسم
من نساءهم ولهذا الاسباب كلها ينقطع نسلهم وان كانوا منهمكين في اللذائذ
الجسمانية هذا كل ما علمهم اياه وأمر باتباعه ماغومد الختال النذل المرذول
وابني سارة في بلادهم قضاة واسبغة يأمرون قسهم المحقرين وقد
زعم أحد القضاة أنهم من أولاد القسيسين وفي الواقع أصلهم كذلك ويشتد
أولئك القضاة جداً على النصارى اذا تقدمت اليهم شكوى ضدّهم بانهم
دخلوا الكنائس الاسلامية أو حضروا اقامة شعائر ذلك الدين أو سبوا
ماغومد فيحكمون عليهم أن يقطع الواحد منهم أربعاً ثم ختم المؤلف رحلته
بنقصة موت محمد فقال اما ما يجب معرفته من وفاة ماغومد فهو انه بعد ان
حكم سبع سنين في بلاد العرب دست له امرأته السم لانه كان قدراً مصروعاً
وبينما هو ذات يوم في الصحراء منفرداً كما دته اذ تحرك عليه السم فوقع
ميتاً بعيداً عن الناس ونهشت جثته الذئب والضواري وقيل في بعض
الروايات ان الخنازير الوحشية أكلته ولم يجدوا شيئاً من أثره اذ ماترك
الذئب الاملابسه ولاصحة لما يقوله المسلمون من ان عظامه جمعت ودفنت
١٥ - الاسلام

في مدينة مكة وانها معلقة في الهواء كما حققه بعضهم ممن تنصروا وكانوا قد زاروا ذلك المعبد ولم يروا فيه صندوقاً وليلاحظ ان المسلمين الذين يذهبون الى الحج ويصلون في مكة يمتقدون ان فيها قبر ماغومد ومع ذلك يقولون ان هناك اول معبد لآدم وان ماغومد أمر بالصلاة فيه ومتى ذهبوا الى ذلك المكان لا يفعلون شيئاً سوى رمي المعبد بالحجارة ليرجموا الشيطان

✽ ومنها ✽

رسائل (ريكولدو) - وهو قس من التليان توفى سنة ١٣٢٠ وفي تلك الرسائل بيان في الديانة الاسلامية وقد اشتد حزن المؤلف وغضبه من وجود تلك الطائفة اللعينة وكان يكثر من مناجاة ربه واطهار الضجر والتوجه من ذلك اليه

جاء في احدي رسائله ويعتقد بنو ساره انهم ناجون بواسطة غشومهم اللعين محمد الذي توسل بالمسئف والخبيث الى اقناعهم بنبوته وأولئك الذين يؤمنون بمثل هذا الرجل لا يقال لهم بنو ساره بل مساهمون أي ناجون واني لا اذكر لكم كل ماجاء في ذلك الدين بل اقتصر على امرين الاول ان محمداً يجتهد في ابادة التثليث المقدس تماماً الذي هو دينكم لانه ينفي الابن عن الآب وينفي الآب عن الابن وينفي روح القدس عنهما ودليله ما قرأته عليكم باللغة العربية في القرآن وما يريد اثباته في عدة آيات وجمله مواضع ويجعله الدليل القاطع من انه يستحيل على الله ان يكون له ولد لانه لم يكن له امرأة ومعلوم ان من انكر الابن فقد أنكر الآب واذا انفي الابن والآب فلا وجود لروح القدس كذلك قرأت في موضع آخر من القرآن (ان الله لا يغفر ان يشرك

به ويفخر ما دون ذلك) وهو يقول ذلك في مواضع أخرى وقرأت أيضاً
ان الله يصلي على محمد

ويؤخذ من رسالة اخرى ان المؤلف كان يستغيث بالقديسين والقديسات
ثم يستنجد أخيراً بالقديس (دومنيك) والقديس فرنسوا ويأخذه العجب
من انهما لم يتمكنوا من التغلب على عدوه قال ومن هو عدوى هو محمد ذلك
المجرم ذلك الختال ذلك الكافر بالله وبالتوراة المقدسة نعم انى لا عجب من
انكما وحدكما لم تحياه بعد من الوجود أناجيك أيتها القديسة مريم مديين
يا صاحبة المسيح المصطفاة واستنجد بحولك ضد محمد وبنى ساره المحمدين لأنك
تعلمين أيتها السيدة المقدسة انى وجدت كنيسةك الجميلة التى أقامها المسيحيون
لخدمتك فى (مجدلة) قد جعلها بنو سارة مربطاً للبهائم وصارت مسكناً
لاقذر الحيوانات كذلك كنيسةك اللطيفة التى بناها لك المسيحيون فى
بطنية وهى التى اذرف فيها المسيح دموع العشق الالهى واحيى اخاك لازار
من قبره وجدتها . لمطخة بالاقذار وصارت مربطاً للحيوانات الوحشية
يا سيادنا ألا يمكنكم ان تساعدوا المسيحيين على المحمدين أو انكم لا تريدون
ذلك انى اعتقد بانه يمكنكم ولكن لا تريدون الا اذا صح انكم صرتم من
بنى ساره (مسلمين) لان من المحقق فى جميع انحاء الشرق ان القرآن كلام
الله فاذا صح ان القرآن كلام الله فمن المحقق والمؤكد والذى لا شك فيه
أبداً انكم صرتم رسلا مسلمين ومقلدين لمحمد ذلك لانى قرأت فى الفصل
الثالث من القرآن ان عيسى بن مريم لما رأى البدع فشت فى بنيه سأل عمل
ينصر الله فاجابه الرسل وكانت هذه الدعوة قد اصطلحت ما بهم نحن نصراء ان
لله

نحن مخلصون لله ونشهد باننا مسلمون واننا مقلدون لمحمد

﴿ ومنها ﴾

سياحة امير (امير انجلور) - التي كانت سنة ١٢٩٥ م سيحية ذكر فيها ماياتي : سرنا يوم الاحد الموافق ٣١ اكتوبر طول النهار ومشينا يوم الاثنين وهو يوم عيد القديسين حتى اقتربنا من حنفية السلطان فررنا امامها واقمنا على بعد فرسخين منها والعادة ان جميع الحجاج يحطون خيامهم قريبا من تلك الحنفية ليقتلوا الهجير بالماء البارد لانه منذ الخروج من غزة لا يوجد ماء صالح للشرب الا في حنفية السلطان والسبب في عدم اقتربنا منها هو انه كان يوجد حولها عشرة آلاف من المسلمين قادمين من مكة وجالسين هناك ليرطبوا بها، وكان كل واحد منهم يلبس لباس بلده وكلهم يعبدون سيدهم النبي محمد والمسافة بين مكة والقاهرة مسيرة خمسين يوماً في الصحراء وعلى ما يقال ان مكة هي مدينة كبيرة جدا وهي ايضا مدخل الهند وحقق لنا بعضهم ان في القاهرة المذكورة اثنتي عشرة الف كنيسة لا ولا دساره يقال لها مساجد وفيها يقرأون صلواتهم ويتعبدون واعلموا ايضا انهم اكدوا لنا انه كما يوجد في القاهرة اثني عشر الف مسجد يوجد اثني عشر الف حمام لكل مسجد حمام ويقولون ان كل مسلم لا يجوز له ان يسمع التلاوة الا اذا كان طاهراً وكلما اختلى بحله وجب عليه الغسل ولهذا فان الناس يفتسلون كثيراً في تلك الحمامات خصوصاً الاغنياء والفقراء يفتسلون في اليم واعلموا اننا رأيناهم يفتسلون وهم يفتسلون عراة بغير أدب ولا احتشام أمام الناس

(ومنها)

اخبار القديس (دينيس) وفيها يقص المحدث كيف ان مدينة دمياط استخلصت من رجال ملك فرنسا سنة ١٢٤٩ ميلادية ويخبر بابادة الاصنام الاسلامية حيث يقول وقد تقدم الرسول الى المحمدية (يريد بها الجامع) وامر ان تنكس جميع الصور الباطلة واصلاح المكان وجعله مستعداً لعبادة سيدتنا المقدسة مريم ثم اقام فيه صلاة على سيدتنا

(ومنها)

قصة (مركبوس) - وهو اول من عرف من شعراء الحرب الصليبية الاندلسية (سنة ١١١٤ الى سنة ١١٢٤) وهي التي انتخب فيها (الفونس) السابع رئيساً ولقب بالامبراطور وقد بدأ الشاعر شعره بما يأتي :

ان الله الذي يعلم كل ما هو كائن وكل ما كان وما يكون قد وعدنا نعمه بواسطة امبراطور اسبانيا . عجباً هل تعلمون ما ينال من الفضل أولئك الذين يتطهرون في الحوض المقدس وينصرون الله من تعدى الوثنيين في بلاد العرب وطغياهم ان مجدهم ليكون ابهى من الشهاب الذي تهتدى به فلك البحار ان أمة الكلاب التي ظهر فيها ذلك النبي الكاذب وأولئك الرجال الخائنون الذين هم اتباع ذلك الرئيس المبتدع قد كثروا فيما يلي الشواطىء، والنغور حتى لم يبق احد يعبد الله فعلمنا ان نظردهم بفضل الحوض المقدس مسترشدين بالمسيح لتقصي أولئك المحقرين الذين يمتقدون بالسحر والطوالم

(ومنها)

حكاية (جوثفيل) - وفيها صيغة اليمين الذي حلفه الامراء المصريون بين يدي ساذ لويس ملك فرنسا لما دخل تلك البلاد وهي تعاهدك على الطاعة واذا خنا فعلينا لعنة من يرتكب ذنباً ويذهب الى الحج بمكة ليزور محمداً ورأسه مكشوفة ولعنة من يطلق امرأته ثم يراجعها لان من طلق امرأته فشرية محمد تقضى عليه ان لا يراجعها الا بعد ان ينكحها غيره وانهم ان خانوا عهدهم مع الملك فعليهم لعنة المسلمين الذين يأكلون لحم الخنزير وقد قبل الملك منهم هذه الايمان لان تقولا العكاوي الذي كان يعرف المسلمين قال له انهم لا يستطيعون ان يغفلوا ايمانهم اكثر من ذلك ومما جاء فيها أيضاً قوله ان الامراء أرادوا ان ينكثوا عهده اطاعة لاوامر القرآن فقال أحدهم اننا اذا قتلنا الملك بعد ان قتلنا السلطان يقول الناس ان المصريين اقبح الناس وأشدهم خيانة وكفراناً وقال آخر حقاً نحن كنا من الاشرار بتخلصنا من سلطاننا الذي قتلناه لاننا خالفنا أوامر محمد الذي يأمرنا بالاحتفاظ على سلطاننا كما نحفظ على العيون ولكن اسموا أمره الثماني المكتوب في الكتاب ثم تصفح ورقة من الكتاب وقرأ حافظوا على الشريعة بقتل اعداء الشريعة فنحن خرجنا عن أمره لما قتلنا السلطان ثم اتنا نخرج عن أمره أيضاً اذا لم نقتل الملك معها كانت عهدنا معه لانه أكبر اعداء الشريعة الوثنية

وحكى جوثفيل قصة دارت بين رجل من رجال الملك وشيخ من المسلمين في سوق دمياط تبادل فيها الحديث على الدين فقال ذهب حنا

رومين أحد عساكر الملك الى دمياط ليشتري قروناً وجلوداً كي يصنع منها
نبالا فوجد رجلا شيخاً كبيراً جالساً في السوق فناده وسأله ان كان
نصرانياً فاجابه نعم فقال له الشيخ انكم حقاً تكرهون بعضكم ايها النصارى
ولانى شاهدت مرة ان ملككم المسمى (بدوان) كسر صلاح الدين ولم
يكن معه الا ثلاثمائة مقاتل مع ان جيش صلاح الدين كان ثلاثة آلاف
واليوم قد وصلتم بذنوبكم الى حالة جعلتنا نأخذكم فى الحقول أخذ الماشية
فقال له حنا يجب عليك ان تمسك عن ذنوب النصارى لان ذنوب المسلمين
أعظم وأشد فقال له المسلم انك أجبت بغير تعقل فسأله حنا ولم ذا فقال
له انه سيخبره بالسبب ولكن يسأله قبل ذلك ان كان له ولد فاجابه نعم
ولد ذكر فقال له اى الامرين أشد وقعاً فى نفسك لطمك باليد على وجهك
منى أو من ولدك فقال له حنا انى أغضب من ابنى اذا ضربنى اكثر مما لو
ضربتنى انت فقال له المسلم اذن اجيبك على سؤالك الاول وهو انكم
تعتقدون بانكم اولاد الله المسيح الذى سميتم مسيحيين عنه وانعم عليكم
كثيراً حتى جعلكم تعرفون الشر من الخير ولذلك فان الله يغضب منكم
اذا فرط منكم ذنب صغير اكثر منا اذا صدر عنا جرم عظيم ونحن جهلاء
جداً الى حد اننا نعتقد النجاة من ذنوبنا لو اغتسلنا قبل الوفاة لان محمداً
قال لنا باننا نطهر من ذنوبنا بالماء عند الممات

ومما يلاذ ذكره ما كان يعتقد الصليبيون فى مذهب الشيعة عند
المسلمين قال اليسوعى (ايف بريتون) وكان يعرف العربية يروى عن
اعتقاد شيخ الجبل رأيت ان شيخ الجبل لا يعتقد بمحمد ولكنه يعتقد

بشرع علي عمه وعلي هو الذي رفع محمداً الى درجات الشرف التي وصل اليها فلما انتهى اليه الامر وصار أميراً على الامة أحقر عمه وأبعده فلما رأى على ذلك جمع اليه من أحبه من الناس وعلمهم شرعاً غير الذي أملاه محمد ومن هنا جاء ان اتباع علي يقولون ان اتباع محمد كافرون ويقول اتباع محمد ان اتباع علي كافرون ومن معتقدات احزاب علي ان الرجل الذي يموت في تنفيذ او امر ربه تذهب روحه فنحل جسداً تسعده أكثر من سابقه ولذلك فان المقاتلين لا يهابون ان يقتلوا أنفسهم متى امرهم الامير لاعتقادهم انهم سيسعدون بالموت أكثر مما لو كانوا احياء ومن معتقداتهم أيضاً انه لا يموت احد قبل اليوم المحتوم لاجله مع انه يجب ان لا يعتقد احد مثل ذلك اذ في قدرة الله ان يطيل الحياة او يقصرها او البدو يعتقدون ذلك ولهذا فانهم لا يلبسون الزرد اذا حاربوا كيلا يخالفوا اوامر شرعهم واذا لعنوا اولادهم قالوا لهم عليكم لعنة الكافرين الذين يخافون الموت فيلبسون الزرد والصفائح قال صاحب القصة وقد رأيت كتاباً موضوعاً ناحية رأس شيخ الجبل فيه أقوال كثيرة مما قاله الرب للقديس بطرس عند نزوله الى الارض فأوصيته بتلاوة تلك الاقوال لانها اقوال طيبة فاجابني ان هذا شأنه لانه يجب للقديس بطرس اذ في بدء العالم لما قتل قابيل انتقلت روحه الى نوح فلما مات نوح انتقلت منه الى ابراهيم وانتقلت من بعده في جسم القديس بطرس لما نزل الرب الى الارض فلما سمع منه ايف اليسوعى ذلك قال له ان اعتقاده لم يكن سليماً والقي عليه كثيراً من التعاليم الطيبة ولكنه لم يرد ان يصدق بها

(ومنها)

قصة تيربان الكاذب - وهي حكاية موضوعة لا يؤخذ منها سند في التاريخ ولكنها احتوت على ما كانت عليه لا خلاق والافكار في القرن التاسع والمرجح انها انشئت في القرن العاشر وكانت في زمانها منتشرة راسخة في الازدهان ولكنها اليوم معدودة من الافاصيص المخترعة باتفاق ولاحتوائها على ما ذكرنا رأينا ان اقتطاف طرف منها مفيد في موضوعنا ففيها كلام طويل عن صنم محمد وكيف ان الملك العظيم شارلمان لم يتمكن من ابادته كما عجز عن ذلك غيره من النصراري قال لما دخل شارلمان بلاد اسبانيا مررجاله فكسروا جميع الاوثان والاصنام ما خلا الصنم الموضوع في بلاد الاندلس الذي يقال له سلام ومعنى سلام بال لغة العربية الله والمسلمون يقولون ان هذا الصنم من صنع شارعهم محمد ولذلك يعظمونه ويعلمون قدره ومحمد هو سارع كاذب وقد صنع ذلك الصنم من العفاريت بسجره وجعله بسجره من التوبة بحيث لا يقدر احد على كسره فاذا اقترب منه احد من النصراري يموت في الحال واذا ذنى منه مسلم ليعبد محمداً ويصلى له يعود بدون جرح يصيبه ولا ضرر واذا وقف عليه طائر مات في الحال وتلك الصورة موضوعة على حجر قديم غاية في الصنع والاتقان من صناعة بني ساره على شاطئ البحر في ارض فسيحة مربعة ويبلغ ارتفاعه مبلغ ما يناله الطير في ارتفاعه والصورة المذكورة هي من مدن غال على شكل رجل قائم على رجليه ووجهه الى الجنوب ويده اليمنى مفتاح كبير الحجم يعتقد بنو ساره انه يسقط من تلك اليد يوم يولى في بلاد الغلوا (فرنسا) ملك تدين له جميع بلاد اسبانيا

ويعدل الشرائع النصرانية على حسب الزمن الجديد ومتى رأى بنو ساره
ان المفتاح قد سقط يخفون كنوزهم في الارض ويهربون

﴿ ومنها ﴾

المرآة التاريخية - طبعت أول مرة سنة ١٤٨٢ وهى لرجل من أصحاب
دومينيك يقال له (فنان دى بوفى) المتوفى سنة ١٣٦٤ وضمها بناء على
أمر الملك (سان لويس) وخصص أحد فصولها وهو الرابع والعشرون من
الجزء الرابع لتاريخ محمد ويقول المؤرخون انه أخذ كثيراً عن العرب ولكننا
نراه أخذاً أكثرها من قصة تزيان الكاذب واليك المواضيع التى تكلم عنها
فى الفصل المذكور الاول بدعة التوحيد والبرنيسيس (يعنى بها السيدة
خديجة) وشريعة محمد وفى هذا الموضوع يذكر قصة الحمامة التى تعلمت ان
تقف على كتف النبى لتلتقط الحب من اذنه وقصة الثور الذى استأنس
الثانى سرقات محمد وخداعه وفضائمه وفيه يذكر ان النبى كان يقتل
ويخنق كل من رآه ومن هنا جاء وهم الناس بانه كان نبياً فتاكا

الثالث فذارة شريعة محمد وخرافتها وكيف وجد القرآن وفيه يذكر
حكاية الراهب سرجه الذى قيل انه علم النبى المهدين القديم والجديد
الرابع حق اتباعه وتمصبهم الاعمى وصيام المسلمين الكاذب وغسلهم
والحج الى البيت بمكة واعتقادهم بنزول الوحى فيه والاصنام التى أبادها
شارلمان والتي أقامها

كتاب البياض الثاني

الى الحاج محمد الثاني

كتبه اليه عقب سفر طرابلس السلطانية في يد الاتراك وانتشار دولة الشرق وتزعزع دوائى إيطاليا وليوان وقد اجتمع خلق لا يحصى عددهم لينتظموا فى سلك الصليبيين تحت مرسة سكندر بك (ومتياس كورفين) ورأى البابا وهو (بى) الثاني ان الخطر على النصرانية يزداد بتسكن الترك واستتباب الامور لديهم فظن انه ليس من المستجبل حمل السلطان محمد على اعتناق الدين المسيحى وبذلك يوقفه فى عنقوان فتوحاته ولهذا كتب قبل أن يرحل عن مدينة (انصون) ليسير مع الصليبيين خطاباً تقتطف منه ماياتى وقد نقلناه من النسخة الاصلية الكروية بيد البابا فى المكتبة العمومية الموجودة فى القسم اللاتينى فصل ١٨١٢٨ نمرة ١٥

من القس بى خادم خدام الرب الى صاحب المجد محمد أمير الاتراك

سلام الله وخوفه

قد أردنا ان نكتب اليكم هذه النصائح حبا فى نجاتكم وحفظاً لفخاركم وهيلا للتخفيف عنكم وثبیت الهدو والسلام فى كثير من الائم واستميجكم ان تفضلوا بالاصفاء الى ما نقول

نحن لا نعتقد فيكم الا انكم البيون ولستم كاهل (كالونه) من بلاد اسبانيا الذين قيل عنهم انهم لا رب لهم ولا الله يعبدون ولا نركم الاموقنين ربنا وتعبدون الذى خلق الارض والسموات وما فيهن لله الذى لا يترك ما خلق ولا نعتقد فيكم أيضاً انكم تجهلون وحسدة النفوس البشرية التى اذا

فأرقت أجسامنا انتقلت إلى مقام آخر فيسكن بعضها جنات النعيم وهي ما
 ظهر منها وتسكن الخبيثة جحيم المذاب وليس هذا مذهب خاص بأنجيلنا
 وبالأنبياء بل جاء به شرعكم أيضاً ون كان أخطأ من حيث جاء فيه ان ما
 يوجد في هذه الدنيا الفانية من السعادة ناشئ عن الصدقة والعرض

يقال ان شرعكم ينص على ان كل نفس ناجية بدينها على شرط أن
 تعيش عيشة خير حتى ولو ترك المسلم الاسلام واعتنق ديناً غيره ويقال انه
 مكتوب فيه (وهو كثيراً ما يناقض بعضه) أن ليس للانسان نجات الا اذا
 اعتقده وعمل به أما نحن فاعتقادنا ان طريق النجاة غير مفتوح الا للنصراني
 أن اتقى وأحسن عملاً فقد جاء الانجيل بالآية الآتية وهي الحقيقة التي تجت
 لنا (من صدق وعُمد فقد نجي ومن لم يصدق فلا نجات له)

ثم أخذ البابا يعدد ما حصل للاسراييليين من الخن طبقاً لما جاء في
 العهد القديم وقال ومن الصحيح عنكم وعندنا ان شريعة اليهود حقيقة وان
 موسى وداود وسليمان واسحاق وحزقيال ودانيال أنبياء حقيقيون وكذلك
 جميع رسل الله وحق دين اليهود الذين عاشوا مع المسيح وباطل دين المجوس
 وعبدة الأوثان وهنا أتى البابا على خلاصة العهد الجديد وأطال في رسالة
 اليسوع وذكر المعجزات الكثيرة التي تؤيدها ون رسالة محمد لم تتأيد بدليل
 الهي البتة ثم استتبع كتابه فقال وأنهم لا تمتقدون معشر المسلمين الا بمحمد
 وقرآنه فاتم عملون على مقتضى شريعة رجل مات بغير حجة ولا دليل ولا وحى
 ولا تنزيل أما نحن فنعتقد بواحد حي وهنا أيضاً استلفت البابا ذهن سلطان
 المسلمين الى ان الفرق بين الديانتين انما هو في الاعتقاد بالتثليث فقال وسنوضح

لكم باجلى بيان ما الفرق بيننا وبينكم من حيث الله نحن نقول ان في الله ثلاثة ذوات
الاب والابن والروح القدس وانتم لا تعتقدون الا بذات واحدة لا تسمونها ابا
ولا بنا بل الله وتقولون انه هو وحده خالق السموات والارض وما فيهن ولذلك
فبين النصارى وبني ساردا والترك خلاف كبير في الله فانتم تقولون ان الله جسماني
ونحن نقول انه غير جسماني وانتم تقولون ان ما يجري في الارض يجري بالصدفة
ولا دخل لله فيه ونحن نعتقد بان الذي خالق كل شىء هو الباسط سلطانه
على كل شىء وانتم لا تقولون بالاب في الالهية ونحن نقول به وبالابن
وانتم تنفون الروح القدس ونحن نحقق وجوده ونعبده نحن نقول بان
المسيح ابن الله وانتم تنكرون بنوته ولماذا تنكرون ذلك لان الله لا يمكن ان
يكون له زوجة يلد منها ولداً ولانه لو كان له زوجة وله اولاد منها لزم فساد
العالم لتعدد القائمين بامرهم وانما العالم بيد رب واحد والوحداية هي عماد الدنيا
وحفاظ للملك والدول اما التعدد فمن لوزمه الفشل وأخص لوازمه الخراب
والدمار ولكن لم يبلغ النصراني من الجهل والسخافة وقصر النظر ما يحمله
على الاعتقاد بان الله يلد ولداً بواسطة لزواج والاختلاط بالنساء
ولم يبلغ منا معشر المسيحيين ضعف العقل حتى نقول بمثل هذا الامر الفظيع
بل ربما جاز تعليم ذلك لبني ساره (المسلمين) الذين يعتقدون ان الله جسماني
وله رأس ويدان واطراف ولساننا نحن نحقق ان الله روح لا تجسد فيه باق
لا يموت، ابداً لا تدركه الافهام . ولنتقل الى تعدد الزوجات وهو ما جاء به
شرعكم وانتم ترونه الطف شىء مقبول جاء فيه وانفعه على انه لو كان تعدد
الزوجات مقبولاً عند الله لوهب عبده الذي خلقه اكثر من زوجة واحدة

ولم يقل الله ان الرجل ليرك اباه واهه ويعلق بازواجه بل قال بزوجه ومن المعلوم ان المحبة الحقيقية لا توجد بين الرجل وزوجه لا بالمساواة بينهما فيهما للرجل عندكم يتزوج نساء كثيرة ترى المرأة تلزم رجلاً واحداً فهي كلها له وليس لها منه الايسير ومع ذلك فالنوع الانساني لا يكثر بهذه الطريقة لان كثيراً من الرجال لا ذرية لهم لان عدد النساء اقل كثيراً من عدد الرجال ثم انه ليس من العدل ولا من الموافق للحرية البشرية ان بعض الناس يقتنى أزواجاً كثيرة وبعضهم يمشى أعزب لا زوجة له ولا ينبغي لنا ان نقول بتعدد الزوجات لكونه عادة قديمة ولان اباة الامم الاولين كانوا يتزوجون باكثر من واحدة لانهم لم يفعلوا ذلك بنص في الشرع ولا تبعاً لشهواتهم بل تلك مزية اختصهم بها الله لكي يكثر نسلهم فيخلقهم من يقوم بمباداة الله بدمهم وانا نضرب صفحاً عن الطلاق الذي تبديحونه ضد ما جاء في الشرع الانجيلي وعن الزنا والميل الى اللذات الجسمانية وغيرها من الجرائم التي حرمتها الشريعة القديمة وحظرها الجديدة ومع ذلك يظهر انها مباحة عندكم

ثم أخذ البابا يقاتل بين النعمين الذين وعدوا الشرعان للناس وختم كتابه بدعوة السلطان الى اعتناق النصرانية فقال ان للاخيار سعادة ابدية ليست في اللذات البهيمية أو الامور التي تخالف مقتضى الحشمة والوقار وليست على سرر تراح فيها الاجسام بل السعادة هي راحة النفوس وحب يسوع الذي يفوق كل لذة في الوجود فأتذكروا قولنا ولتقبلوا نصيحة محب لكم وادخلوا في معمودية المسيح واستحموا استحمام روح القدس واعتنقوا الانجيل المطهر فان ايتم نصائحنا تبدد مجدكم كما يتبدد لدخان

ومتى تم كبقية الناس مات معكم كل شيء، ما اليسوع فهو وحده
سلطان الامم الى الابد فله مجد الاعلى والجلال الاكبر بد الابدين ودهر
الداهرين أمين

﴿ الملحق الثاني ﴾

(كتاب سان أوغستان الى الكونت بونيفاس)

ننقل هنا عن ترجمة موسيو بوجولات الفرنسية اهم مواضع الكتاب
الخامس والثمانين بعد المائة الذي كتبه سنة ٤١٧ القديس اوغستان الى
الكونت بونيفاس حاكم افريقيا في ذلك الحين ليؤيد القسوة التي استعملها
الامبراطور (هنريوس) مع احزاب (دونا) واولى بمن يتسرع الى ذم
هذا الكتاب نظراً الى الافكار المألوفة في العصر الحالي ان يلتفت
الى المبدأ الحكيم لذي ادخله في التاريخ موسيو (لافيس) وسماه مبدأ
شرعية التعاقب فان ذلك يجعل المؤلف على حذر في حكمه على الحوادث
لانه يعلم ان المذاهب تتغير وان الحاضر ليس على الدوام موصلاً الى
الحكم على الماضي فكم من فكر اندثر ولا بد ان يرجع للاذهان وكم من
مذهب مقبول اليوم سيندثر قال موسيو (فرانس) ان جميع المبادئ
التي يقوم بها نظام الهيئة الاجتماعية في هذه الايام كانت قبل رسوخها
في الازهان وصورورها نافعة معدودة من المبادئ المضرّة المخالفة للنظام
كما ان المنافع الاجتماعية هي التي كانت حجة من ذهب الى المساواة ومن
مال الى المسف والفسوة

قال صاحب الكتاب

لقد جرى لأحزاب (دونا) كما جرى لمتهمي دانيال فان القوانين التي ارادوا ان يظلموا بها بريثا استعملت ضدهم كما انقلبت الاسود على متهمي الرسول لكن من لطف المسيح ترى تلك القوانين أحسن في الواقع لأصحاب (دونا) مما يظنون فهي تمسك الى الحق كل يوم فريقتا منهم وقد يشكو المريض المتهيج مرضه من طبيب يشد وثاقه ويشكو الولد الخارج عن سلطة ابيه من ولده اذا ادبه وكلا الاثنين (المريض والولد) محبوب فتركهما وشأنهما كما يريدان رافة قاسية وان الفرس والبغل وهما من العجاوات يقاومان من يضمدهم جراحهما وربما كان منهما ما يخشى منه على حياة القائمين بتمريضهما ومع ذلك لا يتركهما المطبب حتى يستعمل الدواء على الداء فيحصلان على الصحة وفي الناس خلق كثير لا يجوز تركهم خوفاً من الهلاك ومتى عاد الرجل منهم الى هدهاء يعلم ان الذي كان يراه قسوة وظلماً ليس الا نفعاً واحساناً ولو أردنا الوقوف عند حد الحقيقة لرأينا ان القسوة الظالمة هي التي يستعملها الكافرون ضد كنيسة المسيح وان القسوة الشرعية هي التي تأتينا كنيسة المسيح ضد الكافرين وهي سعيدة ان أصابها العذاب في طلب العدالة وهم أشقياء اذا أصابهم العذاب وهم في طلب الباطل والكنيسة تعذب بحبة فيمن تعذب وغيرها يقسو بمامل الحقد والبغضاء فهي تدعو الى الحق وهم للحق كارهون وهي ترمي الى النجاة من الظلمات وهم فيها خالدون ولقد اشتدت وطأة المبتدعين على النصارى من خدمة الدين وغيرهم

فكانوا بين حالين أما ان يخفوا الحق وأما ان يذالوا ما استطيعه للمجبية من أنواع القسوة والتعذيب . ومعلوم ان السكوت عن الحق لا يرجع أحداً عن الغواية بل ان في ذلك مدرجة ليدخل في الباطل كثير من قومنا ومن جهة أخرى فان الاعلان بكلمة الحق كان من شأنه ان يثير غضب المبتدعين وذلك يلحق الاذى بمن قرب عهد رجوعه الينا ويمنع ضعفاء العزائم من سلوك الطريق المستقيم أفي هذه الحالة يجوز ان تلزم الكنيسة جانب السكوت وتحمل هذا كله ولا تطلب معونة الله من القياصرة المسيحيين انه ليس من علة ولا حجة تقوم في جانب ذلك الاهمال

ان الذين كانوا لا يريدون ان توضع لردعهم عن غيرهم قوانين عادلة يقولون ان الرسل ما كانوا يطلبوا مثل ذلك من ملوك الارض وقد غفلوا عن ان زمانهم ليس زماننا وان الامور مرهونة باوقاتها فاي قيصر في ذلك الزمن كان يعتقد بالمسيح حتى كان يضع من القوانين ما يؤيد دين الحق ضد أهل الضلال لكن بعد ان حقت كلمة المسيح وصدق القول بان جميع ملوك الارض سيعبدون الله وان جميع الامم ستخضع له لم يبق من رجل عاقل يشير على الملك بعدم الاشتغال بمن يدافع عن كنيسة ربه ومن يخرج عليها ولا بمن يمتقد بالله او يكون من الكافرين وفي الحقيقة حيث ان الله اودع الاختيار في الانسان فليس من مرجح يحمل على معاقبة من يزني مع عدم عقوبة من يكفر بالله كأن الكفر بالله اصغر جرماً من خيانة المرأة لزوجها او ان قلة العقوبة على الذنوب التي يرتكبها الناس لجهاش بالدين لا لاحتقارهم اياه تصح ان تكون سبباً في عدم العقاب . هل من رجل كان يتمكنه ان يقول

لملكه ايها الملك لاشأن لك في هذا فذع الناس من اتقى منهم ومن فجر .
نعم ليس من يشك في ان استجلاب النفوس لعبادة الله بالتعليم والتهذيب
أولى من الزامهم بها بواسطة القهر والارهاب ولكن لوجود قوم تسهل
لهم معرفة الحقيقة لا ينبغي اهمال من ليسوا على شاكلتهم وقد دلتنا التجارب
ولا تزال تدلنا على ان الخوف والام افاد كثيراً في حمل كثيرين على التعلم
او العمل بما تعلموا

يمترضون علينا بما قاله أحد الكتاب (ارى ان رد جماع الاطفال
بمؤثر الخزي وحب الاستقامة خير من الوصول الى ذلك بالتخويف
والارهاب) فقله صحيح في جانب من امكن اصلاحه بعوامل الاحساس
ولكن الخوف هو لجام السواد الاعظم من الناس وقد علمتنا التوراة ان
الابن كالحادم يجب تأديبه بالعقاب فان في ذلك فائدة كبرى لانك تضربه
بالسوط ولكنك تخلص روحه من الفساد وكثير من الخدم والاتباع
يردون الى سادتهم بالسوط والآلام الجسمانية

اعتاد قوم على الشكوى من التشديد وقالوا ان المرء حر في ان يعتقد اولا
يعتقد وان المسيح لم يستعمل القهر مع احد من الناس ولكننا نذكرهم بالرسول
بطرس فان المسيح قهره على اعتناق دينه وعلمه بعد ان ضربه ثم بعد ذلك
طيب خاطره

لم ان الكنيسة لا تلجىء ابناء الذين ارتدوا عنها الى العودة اليها بالقهر
واستعمال الشدة كما انهم اجتهدوا في اضلال غيرهم مثلما ضلوا نعم قد تستعمل
الكنيسة قوانين صارمة لرد من خرج عنها بزير القهر الا ان في تلك الشدة

فائدة والكنيسة تحفظ لهم عندها صدر أرحمياً وتفرح بعودتهم أكثر مما تفرح
 باتباعها الذين لم يضلوا سبيلها كالراعي يجب عليه ان يعيد لسيده الشاة التي
 اخذت منه بالحيلة كالتى اخذت بالقهر فان عصته ضربها حتى استردها
 يدعون بانه لا يجوز ان يقهر المرء على الخير ذلك لانهم رأوا اننا لا نقهرهم
 على غيره الا ان الله امر ان يؤتى بالناس الى سباطه فان خالفوا اجبروا فلما
 قال له الخدم ان اوامره نفذت ولكن المكان لا يزال فسيحاً قال لهم انطلقوا
 فى الطرقات والحضائر واتوا بمن لا يقيمونه وان قهرنا وفي كلامه حكمة فان
 من اقبل طائعاً فهو كمن اعتنق الدين بالسهولة ومن عصى فانه يمثل لنا المذنب
 الذى جوزى على عصيانه

قبل ان تنشر القوانين القاسية فى افريقيا لمل اصحاب دوناعلى الدخول
 فى الدين القويم ذهب كثير من اخوانى وقرنائى وأنا معهم الى انه لا يجب
 ان نطلب من القياصرة ابادة مذهبهم بتوقيع العقوبات عليهم وذهب آخرون
 وهم الاكبر سننا فينا الى خلاف ما ذهبنا واحتجوا بان كثيراً من البلاد
 انما دخلت فى ديننا بما وضعه الملوك من القوانين التى كانت تلجئهم الى ذلك
 شدة وقسراً ومع ذلك فرقرار على أن لا نطلب من الملوك قسوة ولا شدة
 وان يكتفى بتفريم كل حبر أو قس غير كاثوليكي عشرة جنهات وقام نوابنا
 لتبليغ ذلك ولكن حكمة الله قضت أن يعود رسلنا خائبين ذلك لان الله
 يعلم ان الخوف وصرامة القوانين لا بد منهما فى اصلاح كثير من النفوس التى
 حادت عن الحق وان الشدة تنفع حيث لا ينفع الوعظ ولا يجدى الخطاب

﴿ الملحق الثالث ﴾

(مقابلة)

بين الصيغة التي يقولها مسيحي يمتنق الاسلام

والتي يقولها مسلم يتنصر

الصيغة التي يقولها المسيحي في اسلامه نقلاً

عن كتاب ابن سلمون قاضي مدينة

قرطبة بالجزائر المتوفى في

القرن الخامس من

الهجرة

يعلم المسيحي فلان انه يرفض الدين المسيحي عن اعتقاد وانه يمتنق
ديانة الاسلام عن اعتقاد لانه يعلم ان الله ليس له نظير وانه نسخ بالقرآن
ما انزله قبله من الكتب والشرائع والاديان ويشهد المسيحي المذكور ان
لا اله الا الله وان الله ليس له شريك وان نحمداً عبده وخاتم رسله وانبياه وان
المسيح ابن مريم هو عبده ورسوله وان الله ارسل أحد ملائكته الى مريم
ليخبرها بانها ستلد عيسى وانها حملت من روحه تعالى وبهذا خضع المسيحي
المذكور لجميع أوامر الاسلام الالهية لمتعلقة بالوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام
وغيرها ويعلم ما يترتب على تركها من العقاب كما يعلم المحرمات الواجب الامتناع
عنها وعليه فانه مال الى الاسلام حباً فيه ويحمد الله على هذه النعمة التي أنعم بها

عليه فاضمه اعتناق هذا الدين هذ هو مقاله المذكور قولاً مجرداً عن الخوف
وخالياً عن كل تأثير لانه لا يجب ان يقهر المرء في لدين
الصيغة المستعملة في الكنيسة اليونانية

لخروج المسلم عن دينه

رأينا تماماً للفائدة ان تقرن الصيغة السابقة بصيغة غريبة مستعملة في
الكنيسة اليونانية نقلناها من كتاب سيابورج المطبوع سنة ١٥٩٥ ويلاحظ
القارئ ما احتوت عليه من الخرافات في صيغ السباب الموجهة الى محمد ودينه
وفي الواقع لا يفهم الرجل الذي يخرج عن الاسلام ذى المبادئ السهلة
البيسطة من تلك اللعنات المتتالمة شيئاً ومن المحتمل ان هذه الشتائم وضعت
ليقولها من يخرج عن النصرانية ثم يعود اليها لاننا رأينا فيما تقدم ان المسلمين
لا يعدلون عن دينهم كما شهد به المرسلون في بلاد الشرق والجزائر واذ كان
هذا شأن المسلمين في هذه الايام حيث الامم المسيحية ذات اليد العليا في
الممالك الاسلامية فما نظنك بها أيام القرون الوسطى حيث كان الاسلام يهدد
بقاء الديانة النصرانية في الوجود والصيغة المذكورة مكتوبة باللغة اللاتينية
وقد ترجمناها الى اللغة الفرنسية وهي بنصها

الصيغة الواجبة ملاحظتها على من ينتقل من

دين بنى ساره الى ديانتنا الطاهرة

الحقة المسيحية

فاولا يجب على المرید ان يصوم أسبوعين ويتعلم الصلاة التي علمنا
اياها سيدنا عيسى اليسوع في اناجيله المقدسة وكذلك علامة الدين وبعد

ذلك يابس القس ثوبه الكهنوتي ويأتي بالمريد في حضيرة التكريز بحضور
المؤمنين الذين يرغبون في الحضور ويوقفه أمام الهيكل مكشوف الرأس
ثم يقول له انت يامن يترك اليوم ديانة بنى ساره من غير ان تكون مجبوراً
على ذلك ولا خائفاً أو مغشوشاً بل باختيارك عن طيب نفس وقلب طاهر
محب للمسيح ودين المسيح قل كما أقول انى أفلع عن ديانة بنى سارة كلها
والعن محمداً الذى يمجده بنو ساره ويقولون انه نبى الله ورسوله فيظهر
المريد رضاه بنفسه ان كان يعرف اللغة اليونانية أو بواسطة مترجم ان جهلها
أو بواسطة وصية ان كان قاصراً ويتلو القس بعد ذلك الصيغة الآتية والمريد
يكورها من بعده فاذا تم القول قال القس فلندع الرب والناس يجيبونه رب
ارحم الى آخر صيغة الدعاء ويختمون بلفظة آمين ويبارك القس للمريد
ويصرفه ويصير نصرانياً من اليوم الثانى لهذا الاحتفال
أما مايقوله القس ويكرره المتنصر فهو ما يأتى :

انا لذى فى هذا اليوم اترك ديانة بنى سارة حباً فى الديانة المسيحية
بغير ادنى اكراه ولا اضطرار ولا غرور ولا غواية بل عن طيب نفس
محبة فى المسيح ودين المسيح انى افلع عن ديانة بنى ساره كلها والعن محمداً
الذى يمجده بنو ساره ويقولون انه نبى الله ورسوله والعن علياً صهر النبى
والحسن والحسين ولديه و ابا بكر وعمر وطلحة ومعاوية وزيداً واليزيد
والسيد وعثمان وجميع صحابة محمد وانصاره وخلفائه والعن سيدة وعائشة
وزينب وأم كلثوم زوجات محمد الاولى ثم البقية اللاتى هن أكثر جرماً
ومعهن ابنته فاطمة والعن مايقال له القرآن أعنى به سفر محمد أو كتابه الذى

ادعى انه نزل عليه من السماء على لسان الملك جبريل وكذلك مذهبه باجمه وقواعد دينه وقصصه الكاذبة ولسراره وسننه وما أتى به من الكفريات والعن جنة محمد التي يقول ان فيها اربعة انهار تجري فيها المياه العذبة وابن لا يحمض وخرم لذيد وعسل نقي ويقوم فيها بنو ساره يوم القيامة التي تقوم بمد خمسمائة الف عام مع نسائهم منهمكين في الشهوات البدنية ويجلسون تحت شجرة سدره ويأكلون من الطيور ما يشتهون وجميع فواكه الخريف ويشربون من عين الكافور وعين الزنجبيل التي تسمى سلسبيلاً ويشربون ايضاً بيذاً من اجه من تسنيم وتعظم أجسامهم حتى تبلغ السماء طولاً رجلاً ونساء ويتمتعون بالعشق والعرام بدون ملل بحضرة الله لانه يقول ان الله فوق كل حياء

والعن الملائكة الذين يسميهم محمد هاروت وماروت والعن أحاديث محمد وما نقله عن العهد القديم والعن ذلك المذهب الكاذب وذلك الوعد الذي يدعى فيه محمد انه سيكون فاتح الجنة وانه يدخلها سبعون الفاً من بني سارة الصادقين وان الله يحكم في المجرمين فيفلون بالسلاسل من رقابهم ثم يدخلون الجنة ايضاً ويقال لهم عتقاء محمد

والعن شريعة محمد في الزواج والطلاق وتظهير الزانيات وعدد الزوجات والسراري وجميع مذهبه المنجس في جميع هذه الاشياء

والعن ما جاء به محمد من السب في الله حيث يقول انه يضل من يشاء ويهدى من يشاء وان الله لو شاء لقتلنا بمضنا بعضاً وانه يفعل ما يريد وانه فاعل الشر والخير معاً وهكذا الصدفة والبخت هما المؤثران في كل شئ

والعن الكذوبة محمد التي يقول فيها ان سيدنا والهنا عيسى اليسوع هو ابن مريم أخت موسى وهارون وانه ماولد من اللحم بل حملته أمه من روح الله وانه قلد الطيور لما كان صبياً من الطين ونفخ فيها فصارت حية والعن مذهب محمد الذي يقول فيه ان المسيح ليس ابن الله بل نبي الله ورسوله لانه ليس لله شريك وان الذين يقولون ان المسيح شريك الله سيعذبون في نار جهنم

والعن قول محمد ان لله في مكة بيتاً للصلاة بناد ابراهيم واسماعيل يسمونه الكعبة وأمر بان المصلين يولون وجوههم قبله أينما كانوا والعن ذلك المعبد نفسه الذي يقولون ان في وسطه حجراً كبيراً يمثل الزهراء ويقدمون هذا الحجر كما يقدمون الحجر الذي يقال بان ابراهيم تعرف عليه بهاجراً وعقل فيه جملة لما أراد ان يقرب اسحاق وبان الذين يزورون هذا المعبد يضعون احدى اليدين فوق الحجر ويمسكون الاذن بالثمانية ثم يدورون حوله حتى ياخذهم الدوار فيخرون الى الارض والعن مكة ذاتها وارضها كلها والحجارة السبعة التي يرميها فيها بنو ساره ضد المسيحيين وجميع صلواتهم وعبادتهم وشعائرهم ومذاهبهم

والعن قصة محمد في الناقة التي يقول انها خصصت لله فمقرؤها فانتقم منهم لاجلها والعن الذين يعبدون نجم الصباح اعني بها الزهراء والشعري التي يسمونها الكبرى

والعن جميع قواعد محمد التي يشتم فيها النصارى ويقول انهم كفرون ومشركون ويهيج بنى ساره على قتلهم وابدانهم ويقول ان مقاتلتهم هي

طريق الله وان من مات من بنى ساره في محاربتهم يكونون من ابناء الله
ولهم الجنة

والعن تعاليم محمد النجسة في الصلاة حيث يقول ان من لم يجد ماء
فليأخذ تراباً دقيقاً ويمسح به وجهه ويديه والعن قول محمد ان الانسان خلق
من طين وقطرة ماء ودود الحكمة ومادة متأكلة

وفوق ذلك كله العن إله محمد لذى يقول عنه انه له فرد كامل لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

وعليه العن ما تقدم كله ومحمد نفسه واله الكامل وابتعد عنه والتحق
بالمسيح وهو الحق وحده واعتقد بالآب والابن وروح القدس
ثم يتبع ذلك تلخيص المذهب المسيحي ويحتم المرید الصيغة بالعبارة
الآتية

وإذا كنت أقول ما أقول عن غش أو خيانة لا عن اعتقاد وبقين وقلب
يحب اليسوع فعلى اللعنة ولتكن روجي مع الشيطان

✽ الملحق الرابع ✽

« قتل مرا كش »

أصح تاريخ عن المرسلين الخمس الذين قتلوا في مرا كش يوم ١٦ يناير
سنة ١٢٢٠ هو ما كتبه قس مدينة لسبون ورئيس اليسوعيين الذين يقال
لهم القصر بناء على شهادة رجل حضر الواقعة وكان من أركان حرب
١٨ - الاسلام

(دون بدرو) ونحن نقله .مختصاً عن تاريخ القديس (فرانسوا داسيز) لذي
الفه النفس (.ونبيه)

كان وصول البعثة الى مدينة شيبيليه من الاراضى الاسلاميه وبقى
المرسلون محتفين ثمانية أيام بمنزل أحد المسيحيين ثم قويت عزائمهم بالصلاة
وأرادوا أن يبدأوا رسالتهم بعمل عظيم لذلك خرجوا الى مسجد اجتمع
فيه المسلمون للصلاة فلما رأهم المصلون ظنوا انهم من المجانين لما هم عليه من
اللباس الغريب فاكتفوا بطردهم من الجامع بالعنف فذهبوا الى مسجد
أكبر من الاول فلاقوا فيه مثل ما لاقوا في الاول وحسبوا ان عدم نجاحهم
مسبب عن كونهم لم يبدأوا باعلى مكان في المدينة وقالوا لبعضهم علينا
بالرئيس فان أصغى الينا سهل انقياد رؤسياه ثم توجهوا الى قصر
الحاكم وزعموا انهم مرسلون من قبل ملك الملوك وأخذوا يعطون من فيه
ضد محمد ولم يمسه أحد بسوء حتى اذا سمعهم الحاكم عجب من جرأتهم
وأمر أن تقطع رؤوسهم فشفع فيهم لديه ابنه وتبدل الامر بسجنهم في أحد
الحصون فلما صاروا بداخله صعدوا الى منصبه وجعلوا يلقون وعظهم على
المارة غير مباليين فصدر الامر بنفيهم الى بلاد مرا كس مع عدد من
المسيحيين ففرحوا مستبشرين بكونهم سينشرون علم الصليب في بلاد
الكافرين وكان يوم نزولهم على تلك البلاد يوم اعصفت فيه العواصف فظنوا
ان الله كتب لهم النصر في تلك البقاع وكان (دون بدرو) أخ الفنس ملك
البرتغال قد اختلف مع أخيه فرحل الى بلاد مرا كس واحتفى فيها بظل
أمير المؤمنين على بن يوسف الذي حكم سنة ١١٠٦ الى سنة ١١٤٣ وكان من

عادته لاحتفاء بالمسيحيين وتقليدهم أعلى المناصب حتى اختار له منهم حرساً
عددته الف نفر وكان (دون بدرو) معروفاً بالبسالة وحسن السمعة فالت
اليه القلوب وولاه الملك على نصرانيته قيادة الجنود الاسلامية وكان متمسكا
بتقاليد عائلته فلم يخف من استقبال المرسلين على مشهد من الناس ووعدهم
معاونته وسألهم أن يكونوا في أمرهم متبصرين حتى لا يصيبهم سوء فوعدهم
وكانوا في وعدهم صادقين ولكن جاش بهم حب رسالتهم فلم يتمالكوا
أنفسهم بل خرجوا من اليوم الثاني وجعلوا يعظون الناس بدين اليسوع في
الطرقاوت وبعد أيام صعد أحدهم على عربة وبينما هو يخطب في الناس بالعربة
اذ مر به الملك ذاهباً لزيارة اضرحة اجداده فموضاً عن أن يسكت الخطيب
وكان اسمه الاخ (بيرار) كما كان يفعل المسلم نفسه ضاعف في الوعظ واشتدت
لهجته وهو عمل لا يستطيع أحد ان يأتيه هذه الايام في بلاد مرا كش لان
المسلمين يقطعونه ارباً غير مباين بما عساه يصيبهم من نقمة المسيحيين
ذلك لان مسألة المسلمين للمسيحيين في القرون الوسطى أيام التمدن الاسلامي
كانت أكبر منها في هذه الايام فلما علم الملك أنهم منسيحيون وانهم يدعون
الناس الى دين المسيح غضب من قحتهم وأمر بارجاعهم الى بلادهم فحزن
(دون بدرو) لهذا الامر ولكنه لم يقع عنده موقع الاستغراب ولم يمنع
عن المرسلين مساعدته بل اصحبهم برجال من عنده الى الثغر الذي يركبون
البحر منه فهرب المرسلون من اصحابهم ودخلوا مدينة مرا كش مرة ثانية
ونما خبر عودتهم الى امير المؤمنين فرأى في عملهم امتهاناً لسلطته وأمر
بزجهم في السجن فقضوا فيه عشرين يوماً مضيقاً عليهم أشد التضيق ثم

شفع فيهم (دون بدرو) فاستصحبهم الملك في جيش خرج به لمحاربة بعض القبائل المتمردة بصفة وعاظ للمسيحيين الذين معه فلما عادوا الى مراكش عادوا الى الدعوة ولم يقتصروا على عامة الناس في الازفة والطرق بل صاروا ينتظرون الامير في ممره ويدعونه الى دين المسيح فرأى انهم لن يعدلوا عن غيرهم وأمر أحد قواده وهو أبو زائدة باعدادهم واجتهد أبو زائدة في ردهم عن فعلهم فلم يفلح لذلك أنفذ فيهم أمر سيده في ١٦ يناير سنة ١٢٢٠

مقابلة القديس فرنسوا داسيز مع سلطان مصر

في معسكر دمياط سنة ١٢١٦

كان القديس فرنسوا داسيز مغرمًا بحب الدعوة الى الدين المسيحي وعلى الخصوص بادخال الانجيل في البلاد الاسلامية ولذلك فانه استصحب الاخ ايلوميني ولاحقا بجيش (حنا دي بريان) المقيم على مقربة من مدينة دمياط في الحرب الصليبية الخامسة وبعد ان اقام فيه ايامًا عزم على التوجه الى معسكر السلطان فأشاروا عليه بالعدول عن عزمه لما في ذلك من الخطر عليه فلم يقبل مشورتهم وذهب مع رفيقه الى القس المصاحب لجيشهم كي يخبره بما عزم عليه ويطلب منه ان يصرح لهما بالذهاب حيث اراد فامتنع من اجازتهما وقال لهما انه على يقين من انهما لن ينجوا اذا ذهبا ولما رأى انهما مصران على الذهاب قال لهما انه لا يعرف مغزى افكارهما ووصاهما ان يكونا على الدوام متمسكين بالعدراء فاجابا بالقبول وتوجها من فورهما الى معسكر السلطان وظن من قابلهما من المسلمين انهما خديعة فلما فها من

اشارتهما انهما يريدان نشر الانجيل بين بنى سارة زجوهما فى السجن
وجلدوهما ضرباً بالمصى وكان القديس فرانسوا داسيز يصيح قائلاً سودان
سودان وهى اللفظة الوحيدة التى كان يعرفها واصحابه الصلادان وهذه تحريف
سلطان ثم انتهى ان تمكن من تعريفهم مقصده فى مقابلة السلطان فتلا بين
يديه وهو الملك الكامل خامس الامراء من الايوبيين حكم (من سنة ١٢١٨ الى
سنة ١٢٣٨) فسلما عليه وسلم عليهما وسألها ان كانا يريدان الدخول فى الاسلام
او انهما اقبلا برسالة من قبل اميرهما فقالا انهما لن يريدا الاسلام أبداً
وانهما اتيا برسالة من الله لىكى تنجو حياة السلطان ان اراد اتباع نصيحتهما
وانه ان مات على دينه فهو هالك وانهما يبينا ان له بالمقل والبرهان ان المسلمين
اذا استمروا على شرائعهم بجميعهم هلكى فقال لهما السلطان ان لديه قسماً
ورهباناً لا يمكنه ان يسمع قولهما بدون حضورهم فاشارا عليه بدعوتهم فلما
صاروا بحضورته مع كبراء قومه واعيان مملكته أخبرهم بالامر فاشاروا عليه
باسم محمد ان يقطع رأسيهما لانهم لا يصدقون ما يقولان عملاً بالكتاب
الذى يحرم سماع الوعظ من غير المسلمين وانصرفوا من عنده فلما خلا
السلطان بالرسولين قال لهما ان المسلمين اشاروا عليه بقطع رأسيهما ولكنه
يخالف مشورتهم ويحلى سبيلهما لانهما جاءا ليخلصا روحه من الهلاك

﴿ الملحق الخامس ﴾

« تعدد الزوجات في الاسلام »

(نقلا عن أحد المفسرين)

فسر ابن الخازن وهو من أشهر مفسرى القرآن وله رأى معدود لدى المسلمين الآية الآتية على ثلاث طرق وهى الآية الثالثة من السورة الرابعة (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)

التفسير الاول قال عروة نقلا عن عائشة رضى الله عنها ان الله أراد ان يمنع زواج اليتامى اللاتى تحت وصاية حموهن بمن يطمع فى جمالهن وأموالهن ولا يطههن من الصداق ما يليق بهن تواطئ مع الاوصياء ولذلك أمر الله المؤمنين ان يختاروا نساء اقل جمالا وأقل مالاً يليق بهن ما يقدمون لهن من الصداق الا اذا كان الخاطب قادراً على صداق المثل

التفسير الثانى روى الحسن انه كان بمكة أوصياء على أقاربهم من النساء يجوز لهم ان يتزوجوا منهن وكانوا لا يرغبون فيهن الا حباً باموالهن لا ميثلاً لجمالهن لانهن لم يكن ليعجبهم وكان للاوصياء نصيب شائع فى تلك الاموال وبخشون تداخل غيرهم من ذوى القربى بينهم فيتزوجوهن ويسبئون معاملتهم حتى يقضى عليهم فيختصون بما كان لهن من المال فاراد الله ان يرجع الناس عن ذلك وأنزل الآية المشار اليها

التفسير الثالث قال عكرمة عن ابن عباس انه كان في قريش من يتزوج بعشر نساء وأكثر وكان حالهم يؤول الى الفقر لما تستدعيه لوازم معيشة تلك الزوجات فيتصرفون في أموال القصر من البنات اللاتي كنّ تحت وصايتهن فإفلافة لهذا الضرر وهو الفقر من جهة وضياع أموال اليتامى من جهة أخرى أمر الناس ان لا يتزوجوا بأكثر من أربع نساء لذلك نزلت الآية الثانية من السورة المذكورة تأمر برد أموال اليتامى اليهن متى بلغن الرشد

هذا هو الذي رواه الثقات ولا يباح لمسلم ان يتزوج بأكثر من أربعة فان ذلك محرم قطعاً ثم لا يجوز له أن يتزوج بأربعة الا اذا كان قادراً على رزقهن

﴿ الملحق السادس ﴾

« مقدمة الشيخ الشعراني »

يرى المسيحيون على الدوام في تعدد الزوجات عن المسلمين انهما كلاً منهم على الشهوات واللذائذ الجسمانية وهو وهم لاحقيقة له وخطأ في معرفة أخلاق الشرقيين فقد قلنا ان تعدد الزوجات عند بعضهم أمر تقتضيه وجاهتهم بين قومهم كما كان ذلك معروفاً عند الجرمانيين وكثير من الذين لهم أكثر من زوجة يعيشون عيشة كمال وتقى ووقار ولا يسمح لى القراء أن أتى على طرف من مقدمة الشيخ الشعراني التي صدر بها كتابه ميزان

الشريعة تأييداً لما أقول . لقد خصني الله ان ولدت من نسل كريم ولكن الشرف مزية باطلة بلا خوف الله ورهبته وقد خصني الله بمواهبه منذ نعومة الاظفار حفظت القرآن عن ظهر قلبي ووعيته با كمله في الثامنة من عمري . وكنت أؤدي الصلاة باوقاتها ولم أؤخر منها الا واحدة بغير ارادتي واتفق لي منذ كنت صغيراً اني كنت أتلاوا القرآن بتمامه في صلاة واحدة وقد من الله عليّ حفظني من نزعات انشعوات التي تثور في الانسان من يوم بلوغه الحلم الى ان بلغت الثلاثين . فكنت ارغب عن موجبات التلذذ واستعمل اوقاتي في اكتساب العلم وقليل من الناس حفظوا انفسهم زمناً طويلاً مثلي فالحمد لله الذي حفظني حتى تزوجت فاحفظوا انفسكم مطهرين ايقاناً بلطف الله وحسناته لاعتماداً على انفسكم ولكن اذا رأيتم ان الشهوة ستغلبكم فتزوجوا ولو استدنتم في سبيل الزواج كي تنجوا من الضرر واذا قدرتم فصوموا فهو اولى بكم من الزواج مع الاستدانة وقد اوصى على الخواص غير المتزوجين بالجوع وكثيراً ما كان يعطى الاعزب حبلاً يشد به بطنه فلا يشمر بحاجة الى اللذة مادام بطنه مشدوداً

وقد وهبني الله اربع نساء فاضلات هن زينب وحليمة وفاطمة وأم الحسن كلهن قائمات بواجباتهن تحب النظافة والصلاة واكثرهن في التقي فاطمة وام الحسن وكثيراً ما كانت فاطمة تقف خلفي في الصلاة وكناتقرأ في صلاتنا ربع القرآن وهي لا تتركني الا اذا بكى ابنها ولم يكن عنده من يقوم مقامها وكانت لا تذهب الى وليمة ولا تحضر عرساً لفرط كمالها وشدة وقارها واصابها يوم ارمد فجال كمالها بين الطيب وبين رؤية عينها ولم تفلح

في اقناعها ثم شفى المرض ولكن زاوية العين الداخلية ضاقت فخالفت العين
اختها وكانت تفضل ذلك على كشف عينها للطبيب وكانت نسائي الاربعة
تشجعني في فعل الخير وتعينني عليه وتدفعني الى اقبال الصدقات للمعوزين

﴿ الملحق السابع ﴾

يعتقد المسلمون ان الآية الآتية المذكورة في الكتاب الخامس من
التوراة تشير الى محمد وتنبئ برسالته وهي (جاء الرب من طور سينا وتبجلى
لنا في صاير وظهر في (فاران) فسينا هو جبل الوحي على موسى وصاير
(بالثناة التحتية) جبل في بلاد المقدس وهو مهبط وحي المسيحيين وفاران^(١)
ببلاد العرب مهبط القرآن قال أبو الحسن على الهراوى وهما سائح عربى
في القرن الثانى عشر في رحلته (نصيرة) هي المدينة التي فيها بيت مريم بنت
عمران التي ولدت فيه وسمى المسيحيون نصارى تبعاً لاسم المدينة المذكورة
وهي على مقربة من جبل صاير وفي القسم الاثرى من التوراة ذكر لموسى
وعيسى ومحمد عليهم السلام لانه مذكور فيه (نرى الله من سينا واراد ان
يمجده موسى على ذلك الجبل) ومذكور فيه ايضاً (واطهر في صاير علامة
باهرة تدل على ان عيسى سيظهر في نصيرة المقدسة) وفيه ايضاً واطهر في
جبال (فاران) علامة يعرف بها ان محمداً بعث رسولا هذا هو كلام التوراة

انتهى

« فهرست كتاب الاسلام »

صفحة ١ - مقدمة المترجم - فائمة المؤلف

الفصل الأول

س ٧ - صدق محمد صلى الله عليه وسلم وفيه مباحث - الاول - محمد والاغانى
المعروفة باغانى الاشارات - اثنانى - محمد والتاريخ - الثالث - اصل الاعتقاد -
الرابع - الوحي بالقرآن - الخامس - ليس محمد مبتدعاً - السادس - هل كان
على الدوام صديقاً - السابع - وفاته

الفصل الثانى

س ٣٠ - الاسلام فى زمن الفتح ومدة حكم العرب وفيه مباحث - الاول - استعصاء
بلاد العرب على الاسلام - الثانى - القديس اوغستان ومعاقبة اهل البدع -
الثالث - انتشار الاسلام وملاينته فى الشرق - الرابع - اعتناق الاسلام بمصر فى
زمن بنى امية - الخامس - الاسلام فى الاندلس - السادس - اضطهاد قرطبة -
السابع - تعذيب فلورا العذراء - الثامن - المضطهدون فى مراکش - التاسع -
تأثير ملاينة الدين الاسلامى

الفصل الثالث

س ٥١ - تعدد الزوجات وفيه مباحث - الاول - تعدد الزوجات قبل الاسلام -
الثانى - تعدد الزوجات فى القرآن - الثالث - الحشمة عند المسلمين

لفصل الرابع

ص ٦١ - جنات المسلمين وفيه مباحث - الاول - الحياة الاخرة - الثاني - السعادة
الاخروية في مذهب المسيحيين - الثالث - الرمز والتفسير - الرابع - السعادة
الاخروية في مذهب المسلمين

لفصل الخامس

ص ٧٠ - القضاء والقدر وفيه مباحث - الاول - مشابهات القرآن ومذهب الناسخ والمنسوخ
- الثاني - الاختيار والقضاء والقدر في القرآن والحديث - الثالث - مذهب توماس
ومذهب مولينا - الرابع - الجبرية والقدرية

لفصل السادس

ص ٨٦ - انتشار الاسلام ايام الفتوحات العربية وفيه مباحث - الاول - مخطيط ممالك
الاسلام - الثاني - انتشاره في افريقيا الوسطى - الثالث - تجار المسلمين ومستكشفو
الاوروبابوين - الرابع - الاسلام في مبداء وبعد ذلك - الخامس - اسباب الانتشار -
السادس - المرسلون والمسلمون - السابع - الفولبوسيون والخواصة - السابع - اسباب
انتشار الاسلام الالهية

الفصل السابع

ص ١٠٠ - الاسلام في الجزائر وفيه مباحث - الاول - استعصاء المسلمين عن التنصر -
الثاني - المبشرون بغير رسالة - الثالث - جمعيات الدين في الاسلام - الرابع - غرض
تلك الجمعيات - الخامس - محول الهبة في المسلمين - السادس - التقليد - السابع -
التوراة - ص ١١٧ - خاتمة

﴿ ملحقات ﴾

« الملحق الاول »

ص ١٢٤ - أفكار المسيحيين في القرون الوسطى بالنسبة للنبي والدين الاسلامي - قصة فتوح اورشليم - قصة بودان دوسيور - قصة شاعر ويمس - قصة المرور في الارض المقدسة - قصة الغزوة الكبرى - قصة جيير دى نوجان - قصة الحرب السليبية الاولى - قصة السفر الى الارض المقدسة - رسائل ريكولدو - سياحة أمير انجلور - أخبار القديس دينيس - قصة مركبوس - حكاية جونفيل - قصة يتربان الكاذب - المرأة التاريخية - كتاب البابا بي الثاني الى السلطان محمود الثاني

« الملحق الثاني »

ص ١٥١ - كتاب سان أوغستان الى الكونت بونيفاس

« الملحق الثالث »

مقابلة بين الصيغة التي يقولها مسيحي يعتقد الاسلام والتي يقولها مسلم يتنصر
ص ١٥٦ - الصيغة التي يقولها المسيحي في اسلامه - الصيغة المستعملة في الكنيسة اليونانية لخروج المسلم عن دينه

« الملحق الرابع »

ص ١٦١ - قتل مرا كشي - مقابلة القديس فرانسوا داسيز مع سلطان مصر على معسكر ديباط سنة ١٢١٦ م

« الملحق الخامس »

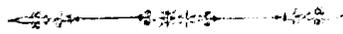
ص ١٦٦ - تعدد الزوجات في الاسلام

« الملحق السادس »

ص ١٦٧ - مقدمة الشيخ الشعراني

« الملحق السابع »

ص ١٦٩ - تفسير آية من التوراة



تمت ترجمته حيث كانت الساعة تسعة ونصف أفرنكي صباحاً بهزبة صاحب السعادة محمد نسيم باشا الانخم التابعة لمركز المنصورة حيث كنا في نزهة بهايوم الاربعاء ثامن شهر ستمبر سنة ١٨٩٧ (١١ ربيع الثاني سنة ١٣١٥)